معالم الصورة الحضارية للمجتمع النبوي

في ضوء سورة الحشر

إعداد

الدكتور / إبراهيم علي عامر

مدرس التفسير وعلوم القرآن الكريم

كلية أصول الدين بطنطا - جامعة الأزهر

مقدمة

إن الحمد لله – تعالى – أحمده ، وأستعينه وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

والصلاة والسلام على معلم الناس الخير ومخرجهم بإذن ربهم من الظلمات إلى النور.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد....

فإن القرآن الكريم هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم ، من تمسك به رشد وهُدي ، ومن غفل عنه ضل وغوى ، وصدق منزله تبارك وتعالى: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[1].

والقرآن الكريم كتاب هداية وبيان بحسب مقصده الأعظم ، ولكل حرف فيه دلالة ، ولكل ترتيب فيه غاية ، ونظامه حريٌّ أن يتتبع ويتّبع؛ فهو نظام محكم جدير بالتدبر والتأمل ؛ من هنا كان الحض على تدبره لفظاً ونظماً ونظاماً: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[2].

ومن مفردات نظام القرآن الكريم ما يتعلق بالسلوك الحضاري أو القيم الحضارية للمجتمع المسلم والأمة المسلمة ، وهو باب هام من أبواب وموضوعات القرآن الكريم ،التي نعتقد شمولها لكل مجال للناس فيه صلاح ومنفعة.

وتتضح ضرورة دراسة تلك المسائل وأهميتها في مثل هذه الأزمان التي نعيشها

---

١ – سورة طه: آية ١٢٣، ١٢٤.

٢ – سورة النساء: آية ٨٢.

ملأى بالتقدم العلمي والازدهار التقني والتنافس الفكري والغزو المنهج للمجتمعات الإسلامية ؛ لذلك ولغيره كان من الواجب على المسلمين اليوم أن يربطوا بين القراءة اللفظية والواقعية للقرآن الكريم.

والمطلوب من المسلمين ليس بدعاً أو مستحيلا فقد سبقنا إليه الأولون ، فنجحوا في ذلك وفشل المتأخرون ، والسبب في نجاحهم وفشلنا أنهم كانوا " يقرؤون القرآن فيرتفعون إلى مستواه.. أما نحن فنقرأ القرآن فنشده إلى مستوانا وهذا ظلم لكتاب الله تعالى.. إن القرآن كتاب يصنع النفوس و الأمم و يبني الحضارة.. هذه قدرته.. هذه طاقته.. فأما أن يفتح المصباح فلا يرى أحد النور لأن الأبصار مغلقة ، فالعيب عيب الأبصار التي ما استطاعت الانتفاع بالنور ، والله تعالى يقول: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ "[1]

ومن ضرورة الموضوع وأهميته ما تدعو إليه الضرورة الواقعية في الواقع الإسلامي الراهن إلى التركيز على المقاصد الشرعية ذات الصبغة الاجتماعية ، و إحلالها في منظومة المقاصد الموقع المهم... ، و توجيه مناهج الكشف و الاستجلاء توجيهاً يساعد على ذلك ، حتى تكون الصياغة المقاصدية للشريعة محققة في الواقع للأغراض الاجتماعية حيث أصبحت الحياة اليوم تمتد فيها العلاقات الاجتماعية وتتكثف بما لم يكن معهودا من قبل ، فتنشأ من النوازل و الأوضاع ذات الصبغة الاجتماعية ما يستلزم تنزيل الشريعة عليها تنشيط البحث في المقاصد الشرعية الاجتماعية لصياغة الأحكام بحسبها ، و توجيهها في سبيل

---

١ – سورة المائدة : آية ١٥، ١٦، وينظر: كيف نتعامل مع القرآن الكريم ؟ للشيخ محمد الغزالي (ص ٢٧، ٢٩) بتصرف، ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ودار نهضة مصر، السابعة ٢٠٠٥م.

إثراء الفقه الاجتماعي و إنضاجه...إن للدين غاية اجتماعية ، فمصلحة الإنسان التي هي المقصد الأسمى للشريعة لا تتحقق إلا في النطاق الاجتماعي [1].

لهذا كله رأيت من حسن الفأل أن أطرق هذا الباب ببحث متواضع – بحسب مصنفه – عن الصورة الحضارية لأشرف مجتمعات البشرية ، وجعلت عنوانه: (معالم الصورة الحضارية للمجتمع النبوي في ضوء سورة الحشر) ، وفكرة هذا البحث في الأساس ناشئة عن تصور واعتقاد بأن كل سورة من سور القرآن المكي والمدني ترسم صورة متكاملة لكل جوانب الحياة الاجتماعية والتشريعية والخلقية وغيرها مما تضمنته الصورة ، مع ربط ذلك بمقصد القرآن الأعظم في تحقيق الهداية بعمومها وسعة مفهومها.

وسبب اختياري سورة الحشر للوقوف من خلالها على الصورة الحضارية المرسومة من خلال آياتها للمجتمع النبوي هو كون سورة الحشر في المشهور والظاهر من اسمها وسبب نزولها الرئيس مرتبطاً بحالة حرب عاشها ذلك المجتمع ، ورغم حالة الشدة التي تلازم الحروب والأزمات ، إلا أن تلك الحالات – كما هو معلوم –أصدق إنباءً عن أخلاق المجتمع وقيمه وحضارته.

ولا أدعي في اختيار الموضوع اجتهاداً ، فالفضل كله لله ؛ فلا خير ينال المرء إلا من لدنه – سبحانه وتعالى – ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [2].

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

---

١ – عبد المجيد النجار: المقتضيات المنهجية لتطبيق الشريعة في الواقع الإسلامي الراهن (ص ٦١، ٨٠)، ط: دار المستقبل، ضمن منشورات مركز دراسات المستقبل الإسلامي عدد ٢.

٢ – سورة آل عمران آية ٢٦.

- أسباب اختيار الموضوع:

لاختيار موضوع البحث أسباب ، أهمها:

١- محاولة توثيق الجوانب التاريخية والحضارية المتعلقة بالمجتمعات الطاهرة ؛ صوناً لتاريخ الأمة وحضارتها.

٢- الرغبة في الوقوف على التصوير القرآني المعجز لتطبيق المنهج الحضاري للمجتمعات الربانية.

٣- الرغبة في إحياء المنهج الحضاري الإسلامي للمجتمعات في نفوس المسلمين ، وما أحوج المسلمين إلى ذلك اليوم ؟!!!.... حيث إن هناك صعوبة في التغيير الإيجابي ، وذلك بسبب خطرين هما: الوافد الغربي المناقض للثوابت ، والتخلف الموروث عن عصر الركود والتراجع ؛ من هنا كان لا بد من العودة للمنابع النقية (القرآن الكريم والسنة النبوية) [1].

٤- إبراز الحقائق والجوانب المشرقة للمجتمع الإسلامي الأول ؛ ليزداد الذين آمنوا إيمانا ، وليستبين سبيل المشركين والحاقدين.

- أهمية الموضوع:

إضافة لما سبق من أسباب الاختيار تتضح أهمية البحث من خلال ما يلي:

١- أنه يفتح باباً هاماً من أبواب البحث الحضاري والتاريخي ، يتخطى حدود التنظير إلى مرحلة الواقع والتطبيق.

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: " ولما كان القرآن الكريم أساس حضارة إنسانية كبرى ومبعث ثورة نفسية وعقلية نقلت تاريخ العالم كله من

---

١ – ينظر: العطاء الحضاري للإسلام، د/ محمد عمارة (ص ٦١، ٦٢)، ط: مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة – الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

طور إلى طور ، فنحن نريد أن نلمح على عجل إلى بعض خصائص الحركات التي لها في الحياة آثار غائرة.... " [1].

٢- أنه يفتح أفقاً منهجياً لدراسة معالم الحضارة الإسلامية من خلال الرصد القرآني لها.

وهذا منهج مفتقد خاصة أن مناهج دراسة الحضارة الإسلامية في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا تعاني من عيوب شتى تتعلق تارة بالمحتوى من حيث عدم التكامل وتقطيع جسد الجوانب الحضارية وتقديمها ممزقة مفتتة ، وبهذا تفقد شخصيتها المتميزة ، وتارة أخرى تتعلق بالمنهج الذي ينصب غالبا على جانب الدفاع عن الحضارة الإسلامية بصياغتها الاستشراقية والغربية ، وهو منهج غير سليم خاصة في مرحلة التكوين [2].

٣- أنه يذكر طرفا من البرهان الواقعي على كمال المنهج الحضاري الإسلامي ، وصلاحيته للتطبيق.

٤- أنه يصحح الصورة غير الواضحة عند البعض فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية في الإسلام ، وبيان عناية القرآن كأصل أول للإسلام بها.

- مشكلة البحث وأسئلته:

تتلخص مشكلة البحث في محاولة استخراج معالم مباشرة وغير مباشرة للصورة الحضارية للمجتمع النبوي المبارك.

---

١ – نظرات في القرآن، للشيخ محمد الغزالي (ص ١٢)، ط: دار نهضة مصر – القاهرة، السادسة ٢٠٠٥ م.

٢ – ينظر: في الفقه الحضاري (حول منهج جديد لدراسة حضارة الإسلام)، أ. د/ عماد الدين خليل (ص ١٤٣) بتصرف، وهو بحث منشور بموقع مكتبة المهتدين، بالشبكة الدولية للمعلومات.

وأهم الأسئلة التي يطرحها البحث بهدف الإجابة عنها:

١- هل يمكن تحديد تعريف للصورة الحضارية للمجتمع النبوي ومفهوم محدد لها ؟

٢- هل يمكن الاستفادة من دلالات السور المدنية في القرآن الكريم معاني ثانوية تتعلق بالجانب الحضاري ؟

٣- هل يمكن استخلاص صورة كاملة للحالة الحضارية للمجتمع النبوي من خلال سورة الحشر ؟

٤- ما هي الملامح المباشرة للصورة الحضارية للمجتمع النبوي من خلال سورة الحشر ؟

٥- ما هي الملامح غير المباشرة للصورة الحضارية للمجتمع النبوي من خلال سورة الحشر ؟

- صعوبات البحث:

تتلخص مشكلة البحث في أنه يتعرض لموضوع اجتماعي حضاري تاريخي من خلال القرآن الكريم ، وإشكالية البحث تكمن في الخشية من القول في القرآن أو الظن بمعانيه ما ليس مراداً لربه ﷻ ؛ حيث إن القرآن في الأصل ليس خاصا بقضايا المجتمع أو التاريخ.

كما يضاف إلى هذا القلة النسبية للمصادر المباشرة الخاصة بدراسة معالم الصورة الحضارية للمجتمع من خلال القرآن الكريم.

- منهج البحث:

يعتمد البحث المنهج الاستقرائي المتمثل في الوقوف على كافة آيات سورة الحشر لاستخراج معالم الصورة الحضارية للمجتمع.

كما يعتمد على المنهج التحليلي في ذات الوقت لاستنباط الدلالات المباشرة وغير المباشرة.

- **المخطط التفصيلي للبحث:**

قسمت البحث إلى: مقدمة وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة.

أما المقدمة ففيها بيان أسباب اختيار الموضوع وأهميته ، ومشكلة البحث وأسئلته ، وصعوبات البحث ، ومنهجه ، ثم المخطط التفصيلي للبحث.

- **التمهيد: مفاهيم ومبادئ: وفيه بيان مفهوم عنوان البحث إفرادا وتركيبا**
- **المبحث الأول: تعريف موجز بسورة الحشر ، وفيه مطالب:**
- **المطلب الأول: اسم السورة وزمان نزولها ، وعدد آيها.**
- **المطلب الثاني: المناسبات في السورة.**
- **المطلب الثالث: سبب النزول وفضائل السورة.**
- **المطلب الرابع: موضوعات السورة ومحورها إجمالاً.**
- **المبحث الثاني: المعالم الحضارية المباشرة للمجتمع من خلال السورة ، وفيه مطالب:**
- **المطلب الأول: مجتمع الإيمان والعبادة.**
- **المطلب الثاني: مجتمع العدل الرباني.**
- **المطلب الثالث: مجتمع التسامح والإيثار.**
- **المطلب الرابع: مجتمع أخذ العبرة من السابقين.**
- **المطلب الخامس: مجتمع التقوى ورعاية المستقبل.**
- **المبحث الثالث: المعالم الحضارية غير المباشرة للمجتمع من خلال السورة ، وفيه مطالب:**
- **المطلب الأول: مجتمع تجاوز الأزمات.**
- **المطلب الثاني: مجتمع المعايير الثابتة.**
- **المطلب الثالث: مجتمع تكامل الأجيال.**
- **المطلب الرابع: مجتمع التعددية الفكرية.**

وأما الخاتمة ، فضمنتها: أهم نتائج البحث ، توصيات الباحث.

وختاماً أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به المسلمين.

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين

التمهيد

مفاهيم ومبادئ

إدراك معاني الألفاظ المركبة فرع عن تصور مفرداتها ، وعنوان البحث يتضمن عدداً من المفردات التي تؤدي معاني حالة إفرادها ، كما أنها تنحصر في مفهوم محدد حال تركيبها.

من هنا كان لا بد من الوقوف على عنوان البحث من حيث الإفراد ؛ بغية إدراك مفهومه التركيبي ، وها هي مفردات عنوان البحث إفراداً:

- **أولاً: المعالم:**

المعالم جمع مفرده: معلم ، وهو في أصل بنائه اللغوي مشتق من مادة: علم ، وهي أصل صحيح يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره ، والمعلم هو مصدر العلم بالشيء أو سببه.

قال ابن فارس [1]: " العين واللام والميم أصل صحيح واحد يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره ، من ذلك العلامة وهي معروفة يقال: علمت على الشيء علامة ، ويقال: أعلم الفارس إذا كانت له علامة في الحرب ، وخرج فلان معلما بـ كذا ، والعلم الراية والجمع أعلام ،..... ، ومن الباب العالمون وذلك أن كل جنس من الخلق فهو في نفسه معلم وعلم " [2].

---

١ – هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، كان إماماً في علوم شتى وخصوصاً اللغة ؛ فإنه أتقنها، له مؤلفات عدة أشهرها معجم مقاييس اللغة، كان مقيما بهمدان، وتوفي سنة تسعين وثلثمائة بالري وقيل: توفي سنة خمس وسبعين وثلثمائة هـ. وفيات الأعيان ١ / ١١٨ – ١٢٠، ط: دار الثقافة – لبنان، بتحقيق إحسان عباس، بدون تاريخ.

٢ – معجم مقاييس اللغة ٤ /١٠٩، ١١٠، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ط: دار الجيل – بيروت – لبنان – ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م، الطبعة الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

وقال الزمخشري [1]: " وتقول: هو من أعلام العلم الخافقة ومن أعلام الدين الشاهقة ،: وهو معلم الخير ومن معالمه ، أي: من مظانه ، وخفيت معالم الطريق أي آثارها المستدل بها عليها " [2].

- ثانياً: الصورة:

- المفهوم اللغوي: يعود الأصل اللغوي لـ كلمة: " صورة " إلى مادة (صَوَر) ، وهي مادة تدل على معان كثيرة غير منقاسة ولا مشتقة ، وقد ورد من مادتها منقاس ومشتق ، وهو: صور يصور بمعنى مال .

قال ابن فارس: " الصاد والواو والراء كلمات كثيرة متباينة الأصول ، وليس هذا الباب بباب قياس ولا اشتقاق ، وقد مضى فيما كتبناه مثله ، ومما ينقاس منه قولهم: صور يصور ، إذا مال و: صرت الشيء أصوره وأصرته ، إذا أملته إليك ، ويجيء قياسه تصور لما ضرب كأنه مال وسقط ، فهذا هو المنقاس وسوى ذلك في كل كلمة منفردة بنفسها ، من ذلك: " الصورة " صورة كل مخلوق ، والجمع صور ، وهي هيئة خلقته ، والله تعالى البارئ المصور ، ويقال رجل صيّر إذا كان جميل الصورة.... " [3].

---

١ – هو الإمام محمود بن عمر بن محمد بن عمر، أبو القاسم الخوارزمي النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر، لقب بجار الله لأنه جاور بمكة زماناً، ولد سنة سبع وستين وأربعمائة، له التصانيف البديعة، وتوفي ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. طبقات المفسرين للسيوطي ١/ ١٢٠ – ١٢١ ط مكتبة وهبة – القاهرة – ١٣٩٦، الأولى، تحقيق: علي محمد عمر، لسان الميزان لابن حجر ٦ / ٤ ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – ١٤٠٦ – ١٩٨٦، الثالثة، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند –.

٢ – أساس البلاغة (ص ٤٣٤)، لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، ط: دار الفكر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣ – معجم مقاييس اللغة ٣ /٣١٩، ٣٢٠، وينظر: مختار الصحاح ١ / ١٥٦، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ط مكتبة لبنان بيروت ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، تحقيق: محمود خاطر.

ويفهم من كلام ابن فارس وغيره من أصحاب المعاجم أن لفظ الصورة يدل على عدة معان أهمها: الشكل، الهيئة، الحقيقة، النوع، الصفة، ويمكن القول: إن الصورة بهذه المعاني تعني السمة المميزة للشيء سواء كانت حسية أو معنوية.

قال الزبيدي [1]: " **الصُّورَةُ، بالضَّمّ: الشَّكْلُ، والهَيْئَةُ، والحقيقةُ،...(وقد صَوَّرَهُ) صورةً حَسَنَةً، (فتَصَوَّرَ)، تَشَكَّل، (وتُسْتَعْمَلُ الصُّورَةُ بمعنَى النَّوْعِ والصِّفَةِ)، وقال المصنّفُ في البصائر: الصُّورَةُ ما ينتقش به الإنسان، ويتميَّزُ بها عن غيره، وذلك ضَرْبانِ: ضَرْبٌ محسوس يُدرِكُه الخاصّة والعامّة، بل يُدْرِكُها الإنسانُ وكثيرٌ من الحيوانات، كصُورَةِ الإنْسَان والفَرَسِ والحِمَارِ، والثَّاني: معقُولٌ يُدْرِكه الخاصَّةُ دونَ العَامَّة، كالصُّورَةِ التي اخْتُصّ الإنْسَانُ بها من العَقْلِ والرَّوِيَّة والمَعَانِي التي مُيِّزَ بها، وإلى الصُّورَتَيْنِ أَشارَ تعالى بقوله:** ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [2]، **:** ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾ [3]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [4]، **وقوله ﷺ:" إنّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ على صُورَتِه "** [5]، **أَراد**

---

١ – هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدى (١١٤٥ – ١٢٠٥هـ = ١٧٣٢ – ١٧٩٠ م)، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، علامة باللغة والحديث والرجال والانساب، من كبار المصنفين، أصله من واسط (في العراق) ومولده بالهند (في بلجرام) ومنشأه في زبيد (باليمن) رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، وتوفى بالطاعون في مصر، من أشهركتبه: تاج العروس في شرح القاموس، وغيره. الأعلام للزركلي (٧ / ٧٠)، ط: دار العلم للملايين– لبنان، الطبعة: الخامسة عشرة – أيار – مايو ٢٠٠٢ م.

٢ – سورة غافر: آية ٦٤.

٣ – سورة الانفطار: آية ٨.

٤ – سورة آل عمران: آية ٦.

٥ – أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥ / ٢٢٩٩)، كِتَاب الِاسْتِئْذَانِ، بَاب بَدْءِ السَّلامِ، ح ٥٨٧٣، ط: دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، الثالثة، والإمام أحمد في مسنده (٢ / ٣١٥)، ح ٨١٥٦، ط: مؤسسة قرطبة – مصر.

بها ما خَصَّ الإنسانَ به من الهَيْئَةِ المُدْرَكَة بالبَصَرِ والبَصِيرَةِ ، وبها فضَّله على كَثِير من خَلْقِه..."[1]

- المفهوم الاصطلاحي:

يعتبر مفهوم الصورة من المفاهيم المشتركة بين عدد من العلوم اللغوية ، ولعل أول العلوم اختصاصا بها علم الأدب ؛ لذا وجب الابتداء بمفهومها عند الأدباء ، والصورة عند الأدباء لها معنيان:

- الأول: المنهج وطريقة الأداء ، وتساوي بهذا المعنى ما يطلق عليه اسم الجنس الأدبي من قصيدة ومقالة وخطبة ورسالة وقصة الخ.....

- الثاني: أن الصورة هي الشكل في النص الأدبي ، وتقابل المضمون ، الذي هو الفكرة أو المعنى أو الغرض أيضا (مع بعض التجاوز) في النص [2]

ولعل المعنى الثاني هو الأقرب إلى مراد البحث بمفهوم الصورة.

وتتكون عناصر الصورة في القرآن الكريم من الدلالة المعنوية للألفاظ والعبارات ، ويضاف إليها مؤثرات يكمل بها الأداء الفني من الإيقاع واللحن للكلمات والعبارات ، ومن الصور والظلال التي يشعها التعبير ، ثم هناك طريقة

---

١ – تاج العروس من جواهر القاموس ٤ / ٣٥٧، ٣٥٩، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي ط: دار الهداية، طبعة محققة، وينظر: لسان العرب ٤ / ٤٧٣، ٤٧٤، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى بدون تاريخ، تهذيب اللغة ١٢ / ١٥٩، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ط: دار إحياء التراث العربي– بيروت ٢٠٠١م، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب.

٢ – ينظر: الإسلام والحضارة الإنسانية، أ.د/ محمد عبد المنعم خفاجي – رحمه الله – (ص ٢٧٧) بتصرف، ط دار الكتاب اللبناني – بيروت، لبنان – ١٩٨٢م .

تتناول الموضوع أي الأسلوب الذي تعرض به التجربة الأدبية [1].

- **ثالثاً: الحضارية:**

- **المفهوم اللغوي:**

لفظ "الحضارية "نسبة للحضارة ، والحضارة في اللغة اسم مشتق من الفعل: حضر ، والذي يفيد بأصل وضعه اللغوي معنى الشهود وهو نقيض الغيبة والغياب ،وقد يفيد معنى سكنى الحضر ، أو اكتساب صفات أهل المدن إذا كان بصيغة: حضر حضارة ، والعلاقة بين المعنيين واضحة ، يقال: (حضر) الشيء حضورا ضد غاب و (حضرته) والإنسان حضارة وحضارة سكن الحاضرة[2].

قال ابن منظور [3]: " الحضور: نقيض المغيب والغيبة حضر يحضر حضورا و حضارة... و أحضر الشيء وأحضره إياه ، وكان ذلك بحضرة فلان وبحضرته وحضرته وحضره و محضره ، وكلمته بحضرة فلان وبمحضر منه أي بمشهد منه ،... و الحضر: خلاف البدو... و الحاضر: خلاف البادي.... الحاضر: المقيم في

---

١ – الإسلام والحضارة الإنسانية (ص ٢٨٦).

٢ – الأفعال ص ٢١٣، لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي، ط دارعالم الكتب – بيروت – ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م، الطبعة: الأولى.

٣ – هو محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (٦٣٠ – ٧١١ هـ = ١٢٣٢ – ١٣١١ م)، صاحب (لسان العرب)، الإمام اللغوي الحجة. من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري، ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس، وعاد إلى مصر فتوفي فيها، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره. الأعلام (٧ / ١٠٨).

المدن والقرى ، والبادي: المقيم بالبادية " [1].

وجاء في المعجم الوسيط [2]: **" (حضر) فلان حضارة: أقام في الحضر ، والغائب حضورا: قدم ، والشيء والأمر: جاء ، والصلاة: حل وقتها ، وعن فلان: قام مقامه في الحضور ، والمجلس و نحوه: شهده والأمر فلانا: نزل به و في التنزيل العزيز:** ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [3]، **وخطر بباله ، والأمر بخير: رأى فيه رأيا حسنا ،.... و(تحضر) حضر و تخلق بأخلاق أهل الحضر و عاداتهم ،.... و(الحضارة): الإقامة في الحضر.... ، و:ضد البداوة ، و هي – أي الحضارة – مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني و مظاهر الرقي العلمي و الفني و الأدبي و الاجتماعي في الحضر (مج) " .**

- المفهوم الاصطلاحي:

اختلفت صياغة مفهوم الحضارة في الاصطلاح باعتبار تنوع اتجاهات المتناولين ومناهجهم وتخصصاتهم.

- فعرفها بعض الـ كاتبين في تاريخها بأنها: " نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي " [4].

- وعرفها بعضهم بأنها: ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف

---

١ – لسان العرب ٤ / ١٩٦، ١٩٧.

٢ – ١ / ١٨٠، ١٨١، وهو من إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط: دار الدعوة بالقاهرة، تحقيق: لجنة من المجمع.

٣ – سورة البقرة: آية ١٨٠.

٤ – مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا ص (٦٩، ٧٠)، د / مصطفى السباعي، ط دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

حياته ، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود ، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية [1].

- وقريب من التعريف السابق قول بعضهم : هي الجهد الذي يُقدَّم لخدمة الإنسان في كل نواحي حياته ، أو هي التقدم في المدنية والثقافة معًا".

- والحضارة الإسلامية هي ما قدمه الإسلام للمجتمع البشرى من قيم ومبادئ ، وقواعد ترفع من شأنه ، وتمكنه من التقدم في الجانب المادي وتيسِّر الحياة للإنسان " [2].

- وعرفها بعضهم بأنها: " الصورة الحاضرة التي يبدعها الإنسان لما يعتقده في الكون والحياة " [3].

وأرى في التعريف الأخير رجحاناً وتميزاً ؛ لارتباطه بالأصل اللغوي لمفهوم الحضارة ، ولتعبيره عن الخصوصية الحضارية للإسلام كوحي إلهي ومنهج رباني ، ولاستناده على العقيدة الإسلامية التي تعتبر منهج الحياة والنظرة العامة للكون اللذان اختارهما المسلم.

- وعرفت الحضارة الإسلامية بأنها: " ذلك الكسب العمراني الذي حققه المسلمون في مسيرتهم الخلافية مؤسساً على مبادئ عقدية ، وموجهاً بتوجيهات

---

١ – الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، د/ حسين مؤنس ص ١٣، منشورات سلسلة عالم المعرفة – ١٩٧٨ م.

٢ – منتديات موقع قصة الإسلام http://qissa.com .

٣ – مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم، عمار توفيق أحمد بدوي ص ١٥، ومفاهيم يجب أن تصحح لمحمد قطب (٣٣٨)، ط: دار الشروق بالقاهرة الأولى ١٤٠٨ هـ.

شرعية في كل مجالات الحياة " [1].

- **رابعاً: المجتمع:**

- **المفهوم اللغوي: يعود الأصل اللغوي لـ كلمة: مجتمع إلى الفعل: جمع ، والجمع هو ضم الشيء المتفرق.**

قال ابن فارس: "... الجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تضام الشيء..." [2].

وقال ابن منظور: " جمع: جمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعا... ، والمجموع: الذي جمع من ههنا وههنا وإن لم يجعل كالشيء الواحد ، و استجمع السيل: اجتمع من كل موضع. و جمعت الشيء إذا جئت به من ههنا وههنا. و تجمع القوم: اجتمعوا أيضا من ههنا وههنا.... ، والجمع: اسم لجماعة الناس. والجمع: مصدر قولك جمعت الشيء. و الجمع: المجتمعون ، وجمعه جموع. والجماعة و الجميع و المجمع و المجمعة: كالجمع... ، وقوم جميع: مجتمعون. والمجمع: يكون اسما للناس وللموضع الذي يجتمعون فيه.... " [3].

وجاء في المعجم الوسيط [4]**: (المجتمع) موضع الاجتماع و الجماعة من الناس.**

---

١ – معالم المنهج الحضاري في الإسلام،د/ عبد المجيد النجار (ص ١٤٩)، بحث منشور في مجلة رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية (ثقافتنا)، مؤسسة الفكر الإسلامي – طهران، العدد الخامس والعشرون، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م، وينظر: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، د / توفيق يوسف الواعي (ص ٣٩)، ط: دار الوفاء – المنصورة، مصر ١٤٠٨هـ.

٢ – معجم مقاييس اللغة ١ / ٤٧٩.

٣ – لسان العرب (٨ / ٥٣)، وينظر: مختار الصحاح (١ / ٤٦).

٤ – (١ / ١٣٦).

- **المفهوم الاصطلاحي:**

- **عرف المجتمع البشري والأمة بأن: "عبارة عن مجموعة من الناس ، هي كل ملتئم من أجزاء هي الأفراد"** [1].

- **وعرف المجتمع الإنساني بأنه: "عدد هائل من الأفراد ، جمعت بينهم روابط ، وأهدف مشتركة ، واستقرار في أرض ، والتزموا بعرف ، أو قانون"** [2].

- **خامساً: النبوي:**

- **المفهوم اللغوي: النبوي نسبة إلى النبي ، والنبي في اللغة مشتق من النبو وهو الارتفاع في الشيء أو تنحيه عن غيره وإشرافه عنه ، والنبي يدل على معان منها: الشيء المرتفع الظاهر ، والطريق ، ومن يأتي بالخبر ، وبين المعاني الثلاثة تداخل.**

قال ابن فارس: " النون والباء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على ارتفاع في الشيء عن غيره أو تنح عنه ،..... ، ويقال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسمه من النبوة ، وهو الارتفاع كأنه مفضل على سائر الناس برفع منزلته ، ويقولون النبي الطريق " [3].

وجاء في المعجم الوسيط [4]**: " (نبأ) الشيء نبئا ونبوءً: ارتفع وظهر ، ومن أرض إلى أرض أخرى: خرج منها إليها ، وعلى القوم: طلع عليهم وهجم ، ويقال: نبأ نبئا**

---

١ – أصول النظام الاجتماعي في الإسلام لمحمد الطاهر ابن عاشور (ص ٤)، ط: الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤.

٢ – لسان العرب (٨ / ٥٣)، وينظر: مختار الصحاح (١ / ٤٦) المجتمع والأسرة في الإسلام، لمحمد طاهر الجوابي (ص ١٤)، ط: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الثالثة ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

٣ – معجم مقاييس اللغة ٥ / ٣٨٤، ٣٨٥.

٤ – ٨٩٦/٢.

ونبأة: صات صوتا خفيفا ، ونبأ الرجل نبأ أخبر ".

- **المفهوم الاصطلاحي:**

عرفت النبوة اصطلاحاً بأنها: " سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عباده ؛ لإزاحة علتهم في أمر معادهم ومعاشهم [1].

وعرف النبي بأنه: " من أوحي إليه بملك أو ألهم في قلبه أو نبه بالرؤيا الصالحة " [2].

والرَّسُولُ: هو المرسل من الله إلى أمته ، أو إلى جميع الخلق ، وقيل: إنسان بعثه الله إلى العباد لتبليغ ما أوحي إليه [3].

- **سادساً: مفهوم عنوان البحث تركيبا:**

بعد الوقوف المتواضع على مفهوم عنوان البحث إفراداً ، ، يمكننا صياغة مفهوم لعنوان البحث تركيباً بأن هذا البحث يقصد الوقوف على المعالم والآثار المميزة للحضارة الراقية التي اتسم بها المجتمع المسلم الأول في المدينة المنورة ، وذلك من خلال التصوير القرآني في سورة الحشر المدنية ؛ وذلك بهدف تحقيق المقصد الأعظم للقرآن وهو الهداية إلى الخير.

---

١ – المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص٤٨٣)، ط: المكتبة التوفيقية – القاهرة، د.ت.

٢ – التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني (٣٠٧/١)، ط: دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥، الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

٣ – معجم مقاليد العلوم (ص ٧٤)، لأبي الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، ط: مكتبة الآداب – القاهرة، مصر – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أ.د محمد إبراهيم عبادة.

المبحث الأول

تعريف موجز بسورة الحشر

المطلب الأول: اسم السورة، وزمان نزولها وعدد آيها

- **الفرع الأول: اسم السورة:**

لسورة الحشر اسمان:

- **الأول: " الحشر " ؛ وسميت بهذا الاسم ؛ لقوله تعالى:** ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ ﴾ [1] **أي الحشر الأول ، وهو الجمع الأول الذي حشروا فيه وأخرجوا في عهد النبوة من المدينة إلى بلاد الشام ، والحشر الثاني: إجلاؤهم وإخراجهم في عهد عمر ﷺ من خيبر إلى الشام.**

- **الثاني: "سورة بني النضير "؛ وسميت بهذا الاسم لاشتمالها على قصة إجلاء يهود بني النضير ، في غزوة بني النضير ، وهم اليهود الذين نقضوا العهد مع النبي ﷺ ، فأجلاهم عن المدينة المنورة** [2].

- **الفرع الثاني: زمان نزولها:**

اتفق العلماء والمفسرون على مدنية سورة الحشر من أولها إلى آخرها ، وحكى اتفاقهم جماعة من المفسرين.

---

١ –سورة الحشر: آية ٢.

٢ –ينظر: التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلى (٦١/٢٨)، ط دار الفكر المعاصر– بيروت، دمشق، سنة ١٤١٨هـ، وينظر: تفسير التحرير والتنوير (٦٢/٢٨)، ط الدار التونسية للنشر – تونس، سنة ١٩٨٤هـ.

قال ابن عطية [1]: " **هذه السورة مدنية باتفاق من أهل العلم** " [2].

وقد ورد تحديد بعض العلماء مـ كان نزولها في ديار بني النضير ، وهي من ضواحي المدينة وتوابعها.

قال أبو حيان [3]: "**وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ ، وَتُعَدُّ مِنَ الْمَدِينَةِ لِتَدَانِيهَا مِنْهَا**"[4]

---

١ – هو الإمام عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية، كان فقهيا عارفا بالأحكام والحديث والتفسير، له التفسير المشهور المسمى: المحرر الوجيز تفسير الكتاب العزيز، قال أبو حيان: هو أجل من صنف في علم التفسير وأفضل من تصدر للتنقيح فيه والتفسير، مولده سنة ثمانين وأربعمائة ومات في خامس عشري رمضان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة. طبقات المفسرين للسيوطي ١ /٦٠، ٦١، طبقات المفسرين للداودي ١ /١٧٦، ١٧٧.

٢ – تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٢٨٣)، ط دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ، وينظر: زاد المسير في علم التفسير (٤/٢٥٣) لأبي الفرج ابن الجوزي، ط دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ، تفسير القرآن للعز بن عبد السلام (٣/٢٩٧)، ط دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٣ – هو الإمام محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني، من كبار علماء العربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد في غرناطة وتوفي بالقاهرة، اشتهرت تصانيفه في حياته وبعد موته، من أشهر كتبه تفسير البحر المحيط ت ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٩/٢٧٦، طبعة دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الثانية ١٤١٣هـ، بتحقيق د.محمود الطناحي، ود.عبد الفتاح الحلو.

٤ – البحر المحيط في التفسير (١٠/ ١٣٦) ط دار الفكر – بيروت سنة ١٤٢٠ هـ.

وعلى القولين: السورة مدنية ؛ باعتبار الاصطلاح الأرجح في تحديد المكي والمدني [1].

وَكَانَ نُزُولُهَا - تحديدا - عَقِبَ إِخْرَاجِ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ بِلَادِهِمْ سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ [2].

وأما ترتيب نزولها ؛ فقد ورد أنها نزلت بعد سورة البينة وقبل سورة النصر[3].

- **الفرع الثالث: عدد آيها:**

اتفق العلماء على أن عدد آيات سورة الحشر أربع وعشرون آية.

---

١ – قال ابن عقيلة المكي – رحمه الله –: " وقد اختلف الناس في تعريف المكي والمدني ؛ فالمشهور أن ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، سواء كان بمكة أم في غيرها، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني، سواء نزل بالمدينة أم بغيرها ".
الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة المكي (٢٠٤/١)، ط: مركز البحوث والدراسات – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ –٢٠٠٦م، وينظر في المعنى نفسه: البرهان في علوم القرآن للزركشي (١٨٧/١)، ط: مكتبة دار التراث – القاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ت، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤٥/١)، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف– المدينة المنورة،١٤٢٦هـ، مناهل العرفان(١٥٩/١)، ط: دار الكتاب العربي، تحقيق فواز زمرلي، د.ت، الموسوعة القرآنية المتخصصة (ص ٥٩٦) ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، د.ت.

٢ – تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٨/ ٦٣).

٣ – ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢٥١/١)، ط دار الفكر – بيروت، سنة ١٤٢٥–١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ص ٣٦) ط مؤسسة الرسالة – ناشرون –دمشق، بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ –٢٠٠٨م، الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي (٢١٠/١) .

قال العلامة رضوان المخللاتي [1]: "**وعدد آياتها أربع وعشرون اتفاقا** " [2]

١ – هو رضوان بن محمّد بن سليمان، أبو عيد، المعروف بالمخللاتي (ت ١٣١١ هـ – ١٨٩٣م)، عالم بالقراءات، مصري، من كتبه: فتح المقفلات في القراءات العشر، وشفاء الصدور في القراءات السبع، والقول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، وإرشاد القرّاء والكاتبين إلى معرفة رسم الكتاب المبين. الأعلام (٢٧/٣).

٢ – القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز لأبي عيد رضوان بن محمد بن سليمان (ص ٣١٤)، تحقيق العلامة عبدالرازق علي موسى، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

المطلب الثاني

المناسبات في السورة

- **الفرع الأول: مناسبة السورة لما قبلها:**

تتناسب سورة الحشر مع ما قبلها (سورة المجادلة) من وجوه:

- **أولها: أن الله عز وجل ذكر في السورة السابقة من حادّ الله تعالى ورسوله ﷺ ، ومن قتل من الصحابة أقرباءه يوم بدر ، وفي أول هذه السورة ذكر من شاقّ الله تعالى ورسوله ﷺ ، وما جرى بعد غزوة بني النضير من إجلاء اليهود ، وقد حدثت الغزوة بعد بدر.**

- **الثاني: أخبر الله في آخر المجادلة عن نصر الرسل: كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ، وأفاد في أول الحشر إنجاز النصر على اليهود: فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ.**

- **الثالث: أن الله تعالى كشف في سورة المجادلة حال المنافقين واليهود وموادة بعضهم بعضا ، وذكر في هذه السورة ما حلّ بيهود بني النضير** [1].

- **الفرع الثاني: مناسبة السورة لما بعدها:**

---

١ – التفسير المنير (٢٨ / ٦١، ٦٢) بتصرف، وينظر: البحر المحيط في التفسير (١٠ / ١٣٧)، روح المعاني (٢٨ / ٣٨) ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت – سنة، تفسير المراغي، للشيخ أحمد بن مصطفى المراغي (٢٨ / ٣٠)، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الأولى ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م، وينظر: البرهان في ترتيب سور القرآن لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ص ٣٣٢، ٣٣٣)، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي (١٩ / ٤٠٢، ٤٠٣)، ط: دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، د. ت.

تتناسب السورة الكريمة مع سورة الممتحنة (ما بعدها) من وجوه:

- أولها: ذكر في الحشر موالاة المؤمنين بعضهم بعضا، ثم موالاة الذين نافقوا للكفار من أهل الكتاب، وافتتحت الممتحنة بنهي المؤمنين عن اتخاذ الكافر أولياء، لئلا يشابهوا المنافقين في ذلك، وكرر النهي في السورة، ثم ختمت به.

- ثانيها: كانت سورة الحشر في المعاهدين من أهل الكتاب، وكانت الممتحنة للمعاهدين من المشركين، لأنها نزلت في صلح الحديبية، فالسورتان تشتركان في بيان علاقات المسلمين مع غيرهم [1].

- الفرع الثالث: مناسبة مطلع السورة لخاتمتها ومناسبتهما لموضوعها:

تبدأ السورة الكريمة وتختم بتسبيح الله الذي له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم؛ وبهذا يتناسب البدء والختام، مع موضوع السورة، ومع دعوة المؤمنين للتقوى والخشوع والتفكر في تدبير الله الحكيم [2].

---

١ – ينظر: التفسير المنير (٢٨ / ١١٧).

٢ – ينظر: في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب إبراهيم (٦ / ٣٥٢١)، ط: دار الشروق – بيروت – القاهرة، الطبعة السابعة عشر ١٤١٢ هـ.

المطلب الثالث

سبب النزول وفضائل السورة

- **الفرع الأول: سبب النزول:**

ورد في كتب السنة والتفسير والسير سبب نزول سورة الحشر وقصتها ، وأشهر ذلك صحةً ما أخرجه الإمام البخاري في الصحيح [1] بسنده عن " سَعِيدِ بن جُبَيْرٍ ﷺ قال: قلت لابن عَبَّاسٍ ﷺ: سُورَةُ التَّوْبَةِ ، قال: التَّوْبَةُ هِيَ الْفَاضِحَةُ ، ما زَالَتْ تَنْزِلُ وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ حتى ظَنُّوا أنها لَنْ تُبْقِيَ أَحَدًا منهم إلا ذُكِرَ فيها ، قال: قلت: سُورَةُ الْأَنْفَالِ ، قال: نَزَلَتْ في بَدْرٍ ، قال: قلت: سُورَةُ الْحَشْرِ ، قال: نَزَلَتْ في بَنِي النَّضِيرِ ".

ونص الرواية كما هو ظاهر نزول السورة في بني النضير وجلائهم.

وبنو النضير قوم من اليهود كانوا يجاورون المدينة ، وكانوا حلفاء للخزرج وبينهم وبين المسلمين عهد سلم وتعاون ، ولكن طبيعة الشر والغدر المتأصلة في اليهود أبت إلا أن تحملهم على نقض عهدهم ، فبينما كان الرسول ﷺ وبعض أصحابه في بني النضير وقد استند إلى جدار من بيوتهم ، إذ تآمروا على قتله بإلقاء صخرة من ظهر البيت ، فعلم ﷺ بذلك فنهض سريعا كأنه يهم بحاجة ، فتوجه إلى المدينة ، ولحقه أصحابه ثم أرسل إليهم محمد ابن مسلمة: أن اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها ، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر ، ثم أمهلهم ﷺ عشرة أيام للخروج ، وتجهز بنو النضير للخروج في

---

١ – (٤ / ١٨٥٢)، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحشر، الجلاء: الإخراج من أرض إلى أرض، ح ٤٦٠٠ ، وينظر: أسباب نزول القرآن الكريم لأبي الحسن الواحدي (ص ٤٣٤)، ط دار الكتب العلمية – بيروت، بتحقيق: كمال بسيوني زغلول، الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م، ولباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين السيوطي (ص ٢٥٨)، ط مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، بتحقيق: كمال بسيوني زغلول، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .

هذا الإنذار، ولكن عبد الله بن أبيٍّ رأس المنافقين أرسل إليهم ينهاهم عن الخروج، ويعدهم بإرسال ألفين من جماعته يدافعون عنهم، فعدلوا عن النزوح، وتحصنوا في حصونهم، وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك، فخرج إليهم ﷺ في أصحابه يحمل لواءه علي بن أبي طالب، فلما رآهم اليهود أخذوا يرمونهم بالنبل والحجارة، ولم يصل إليهم المدد الذي وعدهم به رأس المنافقين، فحاصرهم ﷺ، فصبروا فاضطر إلى قطع نخيلهم، فقالوا عندئذ: نخرج من بلادك، واشترط عليهم ﷺ ألا يخرجوا معهم السلاح، ولهم أن يخرجوا معهم من أموالهم ما حملته الإبل، ودماؤهم مصونة لا يسفك منها قطرة، فلما أرادوا الخروج أخذوا كل شيء يستطيعونه، وهدموا بيوتهم كيلا يستفيد منها المسلمون، وساروا، فمنهم من نزل خيبر على بعد مائة ميل من المدينة، ومنهم من نزل في ناحية «جرش» بجنوب الشام [1].

"وذكر المفسرون أن جميعها أنزلت في بني النضير وكان ابن عباس يسمي هذه السورة سورة بني النضير وهذه الإشارة إلى قصتهم " [2].

- **الفرع الثاني: فضائل السورة:**

وردت عدة أحاديث وآثر تتعلق بفضائل سورة الحشر، منها:

- **ما رواه الترمذي** [3] **بسند حسن عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: " من قال حين يُصبح ثلاثَ مرّات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان**

---

١ – السيرة النبوية دروس وعبر، د/ مصطفى السباعي (ص ٨٧، ٨٨)، ط: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

٢ – زاد المسير للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٨ / ٢٠١)، ط: المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٤هـ، الثالثة.

٣ – في سننه (٥ / ١٨٢)، كتاب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب، ح ٢٩٢٢، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بتحقيق الشيخ أحمد شاكر، وأخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٢٦)، ح ٢٠٣٢، ط: مؤسسة قرطبة – مصر، د. ت.

الرجيم ، ثم قرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ ﴾ [1] **إلى آخر السورة ، وكَّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يُمسِيَ ، وإن مات ذلك اليومَ مات شهيداً ، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة) ، فهذه فضيلة لهذه الآيات أخروية** [2].

١ – سورة الحشر: من الآية ٢٢.

٢ – ينظر: تفسير التحرير والتنوير (٢٨ / ١٢٧).

المطلب الرابع

موضوعات السورة ومحورها إجمالاً

سورة الحشر من السور المدنية التي تعنى بالأحكام التشريعية والعملية والاجتماعية ، " مثل إجلاء يهود بني النضير من المدينة ، وأحكام الفيء والغنائم ، والأمر بالتقوى. كما أن فيها تحليلا لعلاقة المنافقين باليهود ، وبيان عظمة القرآن ، وإيراد بعض أسماء اللّه الحسنى [1].

أما محور السورة ومقصدها الرئيس فهو حادث بني النضير وما يتعلق به من أحكام فقهية كتقسيم أموالهم ، وضوابط وفوائد اجتماعية وأخلاقية.

يقول الطاهر ابن عاشور [2]: " وَقَعَ الِاتِّفَاقُ عَلَى أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي شَأْنِ بَنِي النَّضِيرِ وَلَمْ يُعَيِّنُوا مَا هُوَ الْغَرَضُ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ ، وَيَظْهَرُ أَنَّ الْمَقْصِدَ مِنْهَا حُكْمُ أَمْوَالِ بَنِي النَّضِيرِ بَعْدَ الِانْتِصَارِ عَلَيْهِمْ... " [3].

وقد اشتملت السورة على عدد من المحاور والموضوعات ، وهي على الترتيب الآتي:

- افتتحت بتنزيه الله- تعالى- عما لا يليق به ، ثم تحدثت عن غزوة «بنى النضير» ، فذكرت جانبا من نصره لعباده المؤمنين ومن خذلانه لأولئك الضالين..

- ثم تحدثت السورة بعد ذلك عن تقسيم أموال بنى النضير ، وعن حكمة الله- تعالى- في إرشاده النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا التقسيم.

---

١ – التفسير المنير (٢٨ / ٦١) .

٢ – هو العلامة محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكية بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، عيّن عام ١٩٣٢ م شيخاً للإسلام، من أشهر مؤلفاته تفسير التحرير والتنوير توفي ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م. الأعلام للزركلي (٦ / ١٧٤).

٣ – تفسير التحرير والتنوير (٢٨ / ٦٣).

- وبعد أن أثنت السورة الكريمة على المهاجرين لبلائهم وإخلاصهم وعفة نفوسهم ، كما أثنت على الأنصار لسخائهم ، وطهارة قلوبهم... بعد كل ذلك أخذت السورة في التعجيب من حال المنافقين ، الذين تحالفوا مع اليهود ضد المؤمنين ، وذكرت جانبا من أقوالهم الكاذبة ، ووعودهم الخادعة..

- ثم وجهت السورة في أواخرها نداء إلى المؤمنين ، أمرتهم فيه بتقوى الله ، ونهتهم عن التشبه بالفاسقين عن أمر الله ، الذين تركوا ما أمرهم به- سبحانه- ، فكانت عاقبة أمرهم خسرا..

- وختمت بذكر جانب من أسماء الله- تعالى- وصفاته[1].

١ – ينظر: التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي (١٤/٢٧٩، ٢٨٠)، ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الأولى ١٩٩٧–١٩٩٨م.

المبحث الثاني

المعالم الحضارية المباشرة للمجتمع من خلال السورة

توطئة:

من الطبيعي أن يكون نتاج المنهج الحضاري الرباني صورةً حضارية مشرقة، وإذا كان الإسلام موصوفاً بالشمول والتوازن، فإن الصورة المشرقة لحضارة مجتمعه المسلم شاملة بالضرورة ومتزنة أيضا.

ولقد صور القرآن الكريم عدداً من معالم الصورة الحضارية المباشرة لمجتمع المدينة المنورة في العديد من آياته وسوره المدنية، وهي مظاهر بديعة تدعو كل ساكن أو زائر لهذا البلد الطيب أن يحرص على تطبيقها، فضلا عن معرفتها.

وتتسم القيم والأخلاق القرآنية بسمة "الحضارية"؛ وذلك لأنها تستند إلى معايير قد لا تجتمع في غيرها؛ فهي شاملة لكافة مناحي الحياة، وهي مستندة إلى عقيدة إسلامية تنبني على الثواب والجزاء الأخروي وتتجاوز النفعية المادية الظرفية، وهي مطبقة في الواقع، وبواسطتها بنيت الأمة الإسلامية عبر التاريخ، وفائدتها تطال العالمين دون تمييز على أساس العرق أو اللون أو الدين، اللهم ما كان من ثواب جزيل أعده للمؤمنين برسالة الإسلام وبثواب الآخرة، أما ثواب العاجلة فللمتمسك بالقيم من جميع الملل والنحل وفقا للسنن الإلهية الكونية، قال –تعالى– : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾[1].

ويضاف إلى ما سبق أن القرآن الكريم جمع في بنائه لمنظومة القيم والأخلاق بين

---

١ – سورة الإسراء: آية ١٨، وينظر: مقال: القيم الإسلامية وحاجة الواقع المعاصر أ.د / خالد الصمدي – مجلة حراء – العدد ١٣ أكتوبر – ديسمبر ٢٠٠٨م.

النظرية والتطبيق ، كما أن الصورة التي جاءت بها – تلك المنظومة في القرآن الـ كريم - بلغت درجة من الـ كمال لا يُبتغى وراءها شيء ، وتميز القرآن كذلك بذلك الامتداد الرحب الذي ضم فيه جوهر القانون الأخلاقي كله ، بعد أن كان مفرقا متباعدا زمانا ومـ كان وغير مجموع ، كما يتميز منهجه في تعليم الأخلاق بالأصالة من خلال طريقته التي سلـ كها لتقديم تلك الدروس المختلفة عن الماضين ، وتقريبها ، بحيث يصوغ تنوعها في وحدة لا تقبل الانفصام ، ويسوقها على اختلافها في إطار من الاتفاق التام ، ويضاف إلى هذا أن الأخلاق القرآنية قد رفعت ذلـ كم البناء المقدس ، وجملته ، حين ضمت إليه فصولاً كاملة الجدة ، رائعة التقدم ، ختمت إلى الأبد العمل الأخلاقي [1].

ولا غرابة فيما سبق " فالركيزة المهمة التي قام عليها المجتمع الإسلامي كانت في سمو حضارته التي انفرد بها بين المجتمعات ، والتي كانت مفخرة قدمها للجنس البشري " [2].

ونظرا لطبيعة البحث الموضوعية ، فسنحاول استقراء معالم الصورة الحضارية في مجتمع المدينة المنورة من خلال سورة الحشر الـ كريمة من خلال القيم المجتمعية التي صورتها آيات سورة الحشر مباشرة أو تضمناً.

---

١ – ينظر: دستور الأخلاق في القرآن أ. د / محمد عبد الله دراز (ص ٨، ٩) بتصرف غير يسير، ط مؤسسة الرسالة – دار البحوث العلمية، د. ت، تعريب وتحقيق وتعليق أ. د / عبد الصبر شاهين.

٢ – المجتمع الإسلامي – أسس تكوينه وأسباب ضعفه ووسائل نهضته – أ. د / أحمد شلبي (ص ١٨٧)، ط: مكتبة النهضة العصرية المصرية – القاهرة، الثانية –١٩٩٠م.

المطلب الأول

مجتمع الإيمان والعبادة

الإيمان– كما ورد في معاجم اللغة - يدل بمادته (أَمِنَ) على أصلين متقاربين: أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة ومعناها سكون القلب ، والآخر: التصديق [1].

وهو في الاستعمال القرآني والاصطلاح أيضاً: "كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله وتصديق الإقرار بالفعل " [2].

أو بتعبير آخر هو: "الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان" [3]

والعبادة في اللغة أصلها (عبد) ، وهي مادة تدل على أصلين صحيحين كأنهما متضادان ، والأول من ذينك الأصلين يدل على لين وذل ، والآخر على شدة وغلظ ، فالأول: العبد وهو المملوك والجماعة العبيد وثلاثة أعبد وهم العباد ، والأصل الآخر العبدة وهي القوة والصلابة يقال هذا ثوب له عبدة إذا كان صفيقا قويا،

---

١ – ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١ / ١٣٣)، وينظر أيضاً: لسان العرب (١٣ / ٢١)، تاج العروس (٣٤ / ١٨٥)، مختار الصحاح (ص ١١).

٢ – تفسير الطبري (١ / ١٠١).

٣ – تفسير البغوي (١ / ٤٥)، ط: دار المعرفة، بتحقيق خالد العك، وينظر: زاد المسير (١ / ٢٤) ط: المكتب الإسلامي – بيروت، الثالثة ١٤٠٤ هـ، التفسير الكبير (٢ / ٢٣ وما بعدها)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م، تفسير البيضاوي (١ / ١٠٦ – ١١١)، ط: دار الفكر – بيروت، د. ت تفسير البحر المحيط، لأبي حيان (١ / ١٦٢)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، تفسير ابن كثير (١ / ٤١)، ط: دار الفكر – بيروت ١٤٠١ هـ.

والعبادة بناءً على ما سبق تعني: الطاعة وهي من الأصل الأول [1].

و(العبادة) في الاصطلاح الشرعي والاستعمال القرآني هي: اسم لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة [2].

وإذا اتصف المجتمع بالإيمان والعبادة ، فإنه يصير مجتمعاً ربانياً ،" والربانية هي القاعدة الأساس لقيام المشروع الحضاري الإسلامي ؛ لأنها تجعل الوجهة خالصة لله تبارك وتعالى " [3].

"وقد تميزت الصورة الحضارية الإسلامية بقيامها على أساس الوحدانية المطلقة في العقيدة" [4].

وقد صورت سورة الحشر المجتمع النبوي في المدينة المنورة بأنه مجتمع إيمان وعبادة في آيات عدة من السورة على سبيل التقرير أحياناً أو بأسلوب فيه حض على الفعل أو بذكر آثار لا تنتج إلا عن إيمان وعبادة لله تعالى ، منها:

---

١ – ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٠٥/٤، ٢٠٦)، مختار الصحاح (ص ١٧٢).

٢ – الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢ / ٣٦١)، ط: دار المعرفة – بيروت، بتقديم فضيلة الإمام الشيخ حسنين محمد مخلوف.

٣ – عطاء الإسلام الحضاري أ / أنور الجندي (ص ١٣) بتصرف، ط: رابطة العالم الإسلامي– جدة، رجب ١٤١٦هـ، العدد ١٦٣، السنة الرابعة عشرة.

٤ – من روائع حضارتنا د/ مصطفى السباعي (ص ٧٠) بتصرف، ط: دار الوراق – المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

- **قوله تعالى:** ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [1].

ففي هذه الآية إخبار بأنّ جميع ما في السموات و الأرض يسبح لله ، و يحمده ، و يقدسه ، و يصلي له و يوحده. [2]

ورغم كون الآية خبراً ، إلا أنه تضمن حضاً للمجتمع على المخبر به ، خاصة أن التسبيح والصلاة على تنوع أساليب المفسرين في تفسيره هو من مفردات الخضوع والطوع [3]**، وهما صورتان للعبادة الناشئة عن الإيمان ، والدعوةً عامة للمؤمنين جميعاً أفراداً ومجتمعاً.**

قال الطاهر بن عاشور – رحمه الله – : " افتتاح السورة بالإخبار عن تسبيح ما في السماوات والأرض لله تعالى تذكيرٌ للمؤمنين بتسبيحهم لله تسبيح شكر على ما أنالهم من فتح بلاد بني النضير فكأنه قال: سبحوا لله كما سَبح له ما في السماوات والأرض ". [4]

- **قوله تعالى:** ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧ ﴾ [5].

---

١ – سورة الحشر: ١.

٢ – ينظر: تفسير الطبري (٢٨ / ٢٧)، تفسير بحر العلوم للسمرقندي (٣ / ٤٠٠)، ط: دار الفكر – بيروت، الأساس في التفسير للشيخ سعيد حوى (١٠ / ٥٨١٨)، ط: دار السلام – القاهرة.

٣ – ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥ / ٢٨٣)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٤ – تفسير التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (٢٨ / ٦٤)، ط: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م.

٥ – سورة الحشر: ٧.

فهذه الآية تمثل قاعدة كبرى في التشريع الدستوري للمجتمع الإسلامي[1]، فهي أصل في ضرورة الالتزام بحكم رسول الله ﷺ، على ما يراد بالآية من معنى خاص بالسياق الواردة فيه على نحو تأويل الإمام الطبري: " وما أعطاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء عليه من أهل القرى فخذوه وما نهاكم عنه من الغلول وغيره من الأمور فانتهوا " [2]، أو معنى عام شامل أي: " وما أمركم الرسول فاعملوا به ، ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ ، يعني: فامتنعوا عنه " [3].

وإن كان المعنى العام راجحاً ومراداً من الآية بمنطوقها ومفهومها [4]، يؤيد ذلك ما أخرجه الإمام البخاري – رحمه الله – [5] بسنده عن عبد اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قال: لَعَنَ اللَّه الْوَاشِمَاتِ وَالْمُوتَشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ ، فَبَلَغَ ذلك امْرَأَةً من بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لها: أُمُّ يَعْقُوبَ ، فَجَاءَتْ ، فقالت: إنه بَلَغَنِي أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ ، فقال: ومالي لا أَلْعَنُ من لَعَنَ رسول اللَّهِ ﷺ وَمَنْ هو في كِتَابِ اللَّهِ ، فقالت: لقد قرأت ما بين اللَّوْحَيْنِ؛ فما وَجَدْتُ فيه ما تَقُولُ ، قال: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لقد وَجَدْتِيهِ ، أَمَا قَرَأْتِ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ ، قالت: بَلَى ، قال: فإنه قد نهى عنه ، قالت: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ ، قال: فَاذْهَبِي فَانْظُرِي ، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ ، فلم تَرَ من حَاجَتِهَا شيئا ، فقال: لو كانت كَذَلِكَ ما جامعتنا ".

---

١ – في ظلال القرآن (٦ / ٣٥٢٤).

٢ – تفسير الطبري (٢٨ / ٣٩).

٣ – تفسير السمرقندي (٣ / ٤٠٥).

٤ – تفسير البغوي (٤ / ٣١٨).

٥ – في صحيحه (٤ / ١٨٥٣)، كتاب التفسير، باب: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، (ح: ٤٦٠٤).

والآية الكريمة تعبر عن قاعدة سلوكية عامة لا يمكن بناؤها بغير إيمان راسخ ، ولا تخلو في ذات اللحظة عن جانب من الطاعة والعبادة.

فقد" حث الله تعالى المسلمين في هذه الآية على التسليم لأمر الله تعالى ونهيه ؛ لأن المعنى وما أتاكم الرسول عن الله فخذوه ، وما نهاكم عن الله فانتهوا " [1]

- **قوله تعالى:** ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [2]

فهذه الآيات تعطي تصوراً عاماً عن الخصائص العليا لأهل الإيمان والتقوي مهاجرين ومهاجراً إليهم ومن يأتي بعدهم – وهم مكونات المجتمع النبوي – من: الهجرة ، والنصرة لله ورسوله ، والمحبة للمهاجرين ، والإيثار ، والتحرر من الشح ، والمحبة للسابقين والاستغفار لهم. [3]

والذي يهمنا في هذه اللمحة حديثا عن هذه الآيات كونها تعبيرا واقعا وصورة لأثر الإيمان الراسخ في نفوس أفراد المجتمع النبوي ، ولو لم يكن بالسورة سوى هذه الصورة لكفت المجتمع قيما وحضارة.

بقيت الإشارة إلى كل الآيات من الآيات بمنطوقها اختصت بوصف فريق من

---

١ – تفسير السمعاني (٥ / ٤٠٠)، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، ط: دار الوطن، الرياض، السعودية، الأولى: ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢ – سورة الحشر: ٨ – ١٠.

٣ – الأساس في التفسير (١٠ / ٥٨٢٣) بتصرف.

م كونات المجتمع النبوي إلا أن مفهوم جميعها يعم الجميع وليس من مانع في ذلك[1]

- **قوله تعالى:** ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ الحشر: ٢٢ – ٢٤

هذه الآيات تمثل الإيقاع الأخير في السورة بذكر صفات الله الذي يدعو الذين آمنوا ويخاطبهم بهذا القرآن ، وهي صفات ذات فاعلية وأثر في هذا الـ كون وعلى أساس تصور حقيقتها يقوم الإيمان الواعي المدرك البصير.[2]

والآيات السابقة مجتمعة ترسم صورة واضحة لمعلم الإيمان والعبادة الذي تحلى به المجتمع النبوي.

والعلاقة بين الإيمان والعبادة واضحة جلية ، فالعبادة مبنية على الإيمان ولازمة له ، كما أن العلاقة بينهما وبين الحضارة مؤسسة على عدد من المضامين المشتركة بينهما ، نستعرضها من خلال آيات سورة الحشر:

- **أولا: أن الحضارة تستند إلى محورين أساسيين لا ينفصلان هما: العلم والعمل ، والإيمان كذلك لا بد فيه من العلم والعمل ، فالإيمان يشتمل على مبادئ وتصورات تردفها سلوكيات ترتبط بها ، ودين الإسلام اشتمل باسمه على**

---

١ – ينظر في بيان ذلك: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (٨ / ٤٢)، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

٢ – في ظلال القرآن (٦ / ٣٥٢٠) بتصرف.

العنصرين معاً.[1]

- ثانياً: مضمون الالتزام المتوافر في الإيمان أو العبادة على حد سواء ، وهو ضرورة حضارية كذلك ؛ إذ لكل حضارة منهج ، ولا بد في كل منهج من الالتزام به.

"ومن فوائد هذا الالتزام أنه من الأمور التي تتوحد بها شخصية الأمة ، فإنما الأمم بالصفات والأعمال المشتركة التي تجمع بينها " [2].

كما تظهر قيمة الالتزام الحضارية حال استحضار المعاني المقابلة والمناقضة له من الفوضى والهوى ونحوها مما لا يخفى سوء أثرها وعديم فائدتها.

- ثالثاً: وحدة المقاصد أو تقاربها بين الإيمان والحضارة ، وهذا يتضح عند الكشف عن مقاصد كل واحد من الطرفين على حدة.

أما بالنسبة للدين الصحيح بوصفه أحكاما وشرائع تنظم حياة البشر في هذا الكون فلم يأت إلا لمصلحة البشر ، حيث نصت الشرائع السماوية على أن المقصود من أحكامها صلاح الخلق وعمارة الأرض ومحاربة الفساد والضرر. وهذه الغايات هي ما عبر عنها علماء الأصول بمقاصد الشريعة من الخلق ، وهذه المقاصد الدينية من الاجتماع الإنساني كما هو واضح تؤول إلى حفظ خمس ضروريات "الدين والنفس والعقل والنسل والمال" ، بها تتحقق السعادة البشرية الدنيوية والأخروية.

---

١ – ينظر: بحث " اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم ودلالاته الحضارية " للدكتور عبد الرحمن حللي (ص ٤٥١)، منشور بمجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد٢٧، العدد الثالث عشر، سنة ٢٠١١ م.

٢ – تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا (٦ / ٢٠٢)، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م.

وأما بالنسبة لمقاصد البشرية من التحضر فقد ذهب الجمهور من عقلاء البشر، من فلاسفة وحكماء ورجال العلم المنظرين للاجتماع البشري، إلى أن المقصود الذي يطمح إليه الإنسان في اجتماعه ومدنيته يحوم دائما حول تحقيق السعادة البشرية، باستيفاء الرغبات والحاجات المعقولة والممكنة للبشر. وهذا مذهب أغلب محبي الحكمة بدءً من أوائل الحكماء والفلاسفة كأفلاطون في جمهوريته، والفارابي في مدينته الفاضلة، وابن سينا في سياسته المدنية... انتهاء بالعصر الحديث حيث نادى جمع غفير من علماء ومفكرين بتوجيه الحضارة نحو تحقيق السعادة البشرية. واستمر الأمر على ذلك في عصرنا الحالي إذ لا يختلف أهل الفكر في ضرورة ترشيد التحضر والتقدم نحو إسعاد البشر. وكثير من هؤلاء حاولوا تحديد معايير محددة لهذه السعادة، وعموما تدور آراؤهم على تحقيق الأمن والسلام والكفاية وجميع مقومات استمرار الوجود الإنساني المادي والروحي...

ويتحصل من هذا أن هناك اتفاقا بين الأنبياء والحكماء على السعي إلى تحقيق السعادة الإنسانية، فالأنبياء دعوا من خلال ما جاؤوا به من شرائع إلى إصلاح حال البشرية بالحفاظ على القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة، وعلى رأسها تلك الكليات الخمس الضرورية[1].

- رابعاً: اشتراك الإيمان والحضارة والعبادة في أن كلا منها عمل جماعي، يبنى على تصور سابق.
- خامساً: أن كلا منها يستلزم عملا صالحاً نافعا ملتزما.
- سادساً: اشتراط الرؤية المستقبلية الواضحة في كل منها، وهذا متضمن

١ – مقالة: " التدين والتحضر، نحو تواصل إيجابي " د/ عبد الرزاق وورقية، مجلة حراء، العدد ١٢، السنة الثالثة، (يوليو – سبتمبر) ٢٠٠٨ م.

في الإيمان والعبادة ، وكذلك الحضارة[1].

- سابعاً: أن العلاقة الروحية بين الله وبين الإنسان هي التي تلد العلاقة الاجتماعية التي بدورها تربط ما بين الإنسان وأخيه الإنسان ، والميلاد يـ كون في صورة قيمة أخلاقية [2] ؛ وهذا يعني أن الحضارة لا بد أن تنتج عن دين وعبادة.

ورغم وضوح التصور القرآني ، فإن بعض المجتمعات أو – بالأحرى - بعض منظريها تصوروا أن العبادة قد تـ كون عائقا للمجتمع عن تحقيق أهدافه الحضارية ، باعتبارهم الدين وما يتعلق به قيدا يمنع الإنسان من تصرفات معينة.

وهذا التصور منقوض في مجتمع الإسلام الذي جعل من العبادة نظاما أصيلا في بناء وسلوك المنهج الحضاري للمجتمع.

وإذا كانت سورة الحشر قد أكدت أن الإيمان والعبادة سببان لرسم الصورة الحضارية للمجتمعات ، فإنها أكدت المعنى نفسه من جهة المخالفة ، وهي بيان أن الـ كفر إفساد للحضارة والعمران ، وذلك في تصويرها حال يهود بني النضير ومنافقي المدينة ، حيث كان كفر الفريقين سبباً في إجلاء الأولين في الدنيا ، وخسرانهم والآخرين في الآخرة.

---

١ – ينظر: بحث " اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم ودلالاته الحضارية " للدكتور عبد الرحمن حللي (ص ٤٥١ – ٤٥٣) بتصرف.

٢ – ينظر: ميلاد مجتمع لمالك بن نبي (ص ٥٢)، ط: دار الفكر دمشق، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م، ترجمة: أ.د/ عبد الصبور شاهين.

المطلب الثاني

مجتمع العدل الرباني

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (١).

العدل من أسمَّى مقاصدِ الشريعة الإسلاميَّة عامة ؛ قال – تعالى - : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٢)، **وهو "إعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه بدون نقصان أو زيادة "** (٣).

والعدل قيمة من قيم التقوى التي تتجسَّد في واقع حياتي محسوس ، وهو أقْرب إلى التقوى؛ لأنَّه قائم على مخالفة هوى النفس ونُزوعها لحب الذَّات وتفضيلها على الغير ، والعدْل من أرْقى صفات الإنسان المدني المتحضِّر؛ إذ فيه تتجلَّى إنسانيَّته وترفعه عن الدوافع الشخصيَّة والعصبيَّات العرقيَّة أو الحزبيَّة ، وعن المطامع الذاتيَّة ، وحتَّى عن الخلافات العقديَّة والمذهبيَّة؛ لأنَّ العدل مطلوب ولو مع الخصوم والأعداء؛ كما جاء في قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٤).

وإن كان منطوقه قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

---

١ – سورة الحشر: ٧.

٢ – سورة النحل: ٩٠.

٣ – تفسير الآلوسي (١٠ / ٢٧٣).

٤ – مقالة: " التدين والتحضر، نحو تواصل إيجابي " د/ عبد الرزاق وورقية، مجلة حراء، العدد ١٢، السنة الثالثة، (يوليو – سبتمبر) ٢٠٠٨ م.

﴿وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ في بيان حكم الله في الفيء المذكور وأمثاله [1]، تحوي في الوقت ذاته وصفا لأحوال الجماعة المسلمة في حينها كما تقرر طبيعة الأمة المسلمة على توالي العصور، وخصائصها المميزة التي تترابط بها وتتماسك على مدار الزمان، لا ينفصل فيها جيل، ولا قوم عن قوم، ولا نفس عن نفس، في الزمن المتطاول بين أجيالها المتعاقبة في جميع بقاع الأرض. وهي حقيقة ضخمة كبيرة ينبغي الوقوف أمامها طويلا في تدبر عميق... [2].

وقد صور لنا القرآن الكريم من خلال الآية الكريمة صورة باهرة للعدل الرباني في المجتمع النبوي، حيث اشتملت الآيات على قاعدتين أساسيتين: الأولى: من قواعد التنظيم الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع الإسلامي: «كَيْ لا يَ كُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْ كُمْ».، الثانية: قاعدة كبرى في التشريع الدستوري للمجتمع الإسلامي: «وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»..

ولو أن هاتين القاعدتين جاءتا بمناسبة هذا الفيء وتوزيعه، إلا أنهما تتجاوزان هذا الحادث الواقع إلى آماد كثيرة في أسس النظام الاجتماعي الإسلامي [3].

ويمكن القول: إن النظرة المقاصدية في هذه الآية ونظيراتها تؤكد لنا أن العدل ليس مجرد قيمة مجتمعية أو حضارية، بل هو مقصد من مقاصد الشريعة

---

١ – ينظر في تفصيل ذلك: تفسير التحرير والتنوير (٢٨ / ٧٨ – ٨٠).

٢ – سورة المائدة: ٨، وينظر: التقوى والعمران الحضاري في القرآن، محمد البوزي، مقالة منشورة بموقع الألوكة: http://www.alukah.net.

٣ – في ظلال القرآن (٦ / ٣٥٢٤) بتصرف.

الإسلامية عامة.

يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله – : " وقد بدا من هذا التعليل أن من مقاصد الشريعة أن يـ كون المال دُولة بين الأمة الإسلامية على نظام محـ كم في انتقاله من كل مال لم يسبق عليه ملك لأحد مثل المَوات ، والفيء ، واللقطات ، والركاز ، أو كان جزءاً معيناً مثل: الزكاة ، والـ كفارات ، وتخميس المغانم ، والخراج ، والمواريث ، وعقود المعاملات التي بين جانبي مال وعمل مثل: القراض والمغارسة ، والمساقاة ، وفي الأموال التي يظفر بها الظافر بدون عمل وسعي مثل: الفيء والرّكاز ، وما ألقاه البحر" [1].

والعلاقة بين العدل والحضارة واضحة ؛ إذ الحضارة سلوك اجتماعي بحت ، "والعدالة سمة الإسلام وميزان الاجتماع فيه ، وهي التي يقوم بها بناء الجماعة ، وكل تنسيق اجتماعي لا يقوم على العدالة منهار ، مهما تـ كن قوة التنظيم فيه ؛ لأن العدالة هي الدعامة وهي النظام الحقيقي ، وهي التنسيق السليم لـ كل بناء"[2].

---

١ – تفسير التحرير والتنوير (٢٨ / ٨٥).

٢ – المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، للإمام محمد أبي زهرة (ص ١٦٥)، ط: الدار السعودية للنشر والتوزيع، الثانية ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.

المطلب الثالث

مجتمع التسامح والإيثار

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾

السماحة سمة من سمات المجتمع الإسلامي ، لأنها ظاهرة في ثنايا الإسلام كله ، فالأحكام الشرعية مبنية عليها ، وقد وصف عباد الرحمن بقوله ﷻ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ [1].

ترسم الآية الكريمة " صورة وضاءة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار- في المجتمع المدني - ، هذه المجموعة التي تفردت بصفات ، وبلغت إلى آفاق ، لولا أنها وقعت بالفعل – الآن- ، لحسبها الناس أحلاما طائرة ورؤى مجنحة ومثلا عليا قد صاغها خيال محلق.. ؛ فأي مجتمع في الدنيا التي يدعي أهلها التحضر المزيف- أحيانا –يقبل مجتمعا آخر ليشاركه في دخله القومي ومكتسباته الذاتية ؟ !!

وليأت دعاة الحضارة ومدعوها ليروا: هل يمكنهم تطبيق مثل هذا النموذج ؟

وتعبير الآية يتضمن ألواناً من الجمال غير المحدود ، فقد وصفت الأنصار بحب المهاجرين ابتداءً ، ثم ثنت بعد بما يضمن دوام المحبة بين الفريقين تخليةً وتحليةً ، فبدأت بالتخلية ، حيث لم يجد الأنصار في صدورهم حاجة مما أوتي المهاجرون من فيء أو أموال أو تقدم في الرتبة والفضل ، ثم عقبت ذلك بالتحلية بـ كمال الفضائل ، وهو إيثارهم المهاجرين على أنفسهم حتى ولو كان بهم حاجة وفاقة[2].

وأما الإيثار ، فهو مبني على التسامح ، وليس بغريب على من رضي غيره

---

١ – سورة الفرقان: ٦٣.

٢ – ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (٧ / ٥٢٦)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

شريكا له في مجتمعه وعيشه أن يؤثره على نفسه حتى ولو كان به حاجة ملحة[1].

والعلة في عظم قدر الإيثار المذكور في الآية أنه " ليس عن غنىً عن المال ، ولكنه عن حاجة وخصاصة وهي الفقر ،..... ، وقد ذكر المفسرون أنواعاً من إيثار الأنصار للضيف بالطعام وتعللهم عنه حتى يشبع..... " [2].

ولقد روى المفسرون ما يفيد أن المهاجرين كانوا فقراء لا أرض ولا مورد لهم ،فلما فتح الله على النبي ويسّر له أموال بني النضير شاور الأنصار واسترضاهم في النزول عن حقهم فيها حتى يقسمها على المهاجرين في كفوهم مؤونتهم وأن الأنصار رضوا بذلك عن طيب خاطر ولم يشعروا بحسد ولا غيرة مما اعتزمه النبيّ من توزيع الفيء على المهاجرين عدا الذين في قلوبهم مرض ونفاق. وأن النبي قسّم هذه الأموال على المهاجرين فقط ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثة رجال فقراء منهم [3].

وقد بينت السنة النبوية نماذج للإيثار والتسامح في المجتمع النبوي ، من ذلك ما

---

١ – في ظلال القرآن (٦ / ٣٥٢٧) بتصرف.

٢ – التفسير الكبير (٢٩ / ٢٥٠)، وهو لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، الأولى.

٣ – التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة (٧ / ٣١٥)، ط: دار إحياء التراث العربي بالقاهرة، ١٣٨٣ هـ.

أخرجه الإمام أحمد [1] عن سيدنا أنس ﷺ قال: «قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم حسن مواساة في قليل، ولا حسن بذل في كثير، لقد كفونا المئونة، وأشركونا في المهيأ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله، قال: لا، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم».

وقد ذكر المؤلفون في التاريخ والسير أن تشريع نظام المؤاخاة كان في السنة الأولى للهجرة النبوية، وقد ترتب على هذا النظام حقوق خاصة بين المتآخيين وصلت إلى حد الإرث، فضلا عن المواساة وطيب نفس الأنصار بـ كل ما يبذلونه لإخوانهم [2].

ولا شك أن خلق التسامح والإيثار ضرورة مجتمعية وحضارية، وقد أبرزت الآية الـ كريمة هذا المعلم في سياق وصفي منهجي، بحيث لا يعجز مجتمع حضاري عن تطبيقه فضلاً عن تصوره.

---

١ – في مسنده (٣ / ٢٠٠)، ح: ١٣٠٩٧، وأخرجه الترمذي في سننه (٤ / ٦٥٣)، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب، ح: ٢٤٨٧، وقال أبو عِيسَى: هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ حسن غَرِيبٌ من هذا الْوَجْهِ.

٢ – ينظر في تفصيل ذلك: المجتمع المدني في عهد النبوة – خصائصه وتنظيماته الأولى –، أ.د/ أكرم ضياء العمري (ص ٧٤ – ٧٧)، ط: المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، الأولى ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

المطلب الرابع

مجتمع أخذ العبرة من السابقين

من معالم المجتمع الصالح أن يكون للعبرة في نفوس قواده وأفراده تقدير وم كان ، ولقد لفت القرآن الكريم في عديد من آياته نظر الإنسان إلى عدم الاغترار بالأسباب عامة من م كونات الحضارة دون اهتمام بالم كونات الأساسية التي لا تتم الصورة الحضارية بدونها ، ونبههم ألا يدفعهم اغترارهم إلى نسيان الحقائق المتمثلة في قدرة الله على إهلاكهم والإتيان بغيرهم.

و"الاعتبار مأخوذ من العبور والمجاوزة من شيء إلى شيء ، ولهذا سميت العبرة عبرة لأنها تنتقل من العين إلى الخد ، وسمي المعبر معبراً لأن به تحصل المجاوزة ، وسمي العلم المخصوص بالتعبير ، لأن صاحبه ينتقل من المتخيل إلى المعقول ، وسميت الألفاظ عبارات ، لأنها تنقل المعاني من لسان القائل إلى عقل المستمع ، ويقال: السعيد من اعتبر بغيره ، لأنه ينتقل عقله من حال نفسه إلى حال الغير ، ولهذا قال المفسرون: الاعتبار هو النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها " [1].

وقد وجهت سورة الحشر دعوة صريحة بالاعتبار والاستفادة من أخطاء السابقين ، ونلك قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ على عموم معنى الآية في كل اعتبار أو خصوصه بسياقه الوارد فيه [2]، ولم تقف السورة عند هذا الأمر المباشر ، بل ذكرت عدداً من المشاهد مبينة خطأ أصحابها في حساباتهم الحضارية ، وأسباب الخطأ ، وشخصت علة فساد سعيهم ، وما نلك إلا ليعتبر

١ – سورة الحشر: من الآية ٢.

٢ – ينظر: التفسير الكبير(٢٩ / ٢٤٥)، تفسير ابن كثير (٤ / ٣٣١).

أولو الأبصار من المسلمين.

ومن المشاهد المفعمة بالعبر الواردة في السورة حسب ترتيب المصحف:

- أولاً: مشهد جلاء يهود بني النضير وخراب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، وسببه:

فقد بين الله سبحانه في مطلع السورة الكريمة أنه أخرج بني النضير من ديارهم جلاءً رغم استبعاد بعض الناس ذلك؛ لقوة حصونهم ومنعتهم [1]: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [2].

والاعتبار المطلوب في تذييل الآية لا يكفي فيه ظاهره بل لابد فيه من إمعان التفكر في المشهد للخروج بأعلى نسبة فائدة وعبرة؛ وذلك لوضوحه وبيانه.

قال البرهان البقاعي: " احملوا أنفسكم بالإمعان في التأمل في عظيم قدرة الله تعالى على أن تعبروا من ظواهر العلم في هذه القضية بما دبر الله في إخراجهم إلى بواطن الحكمة بأن لا تعدوا لكم ناصراً نم الخلق ولا تعتمدوا على غير الله، فإن الاعتبار - كما قال القشيري - أحد قوانين الشرع، ومن لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره - انتهى " [3].

وقال العلامة أبو السعود: " فاتعظوا بما جرى عليهم من الأمور الهائلة على

---

١ – ينظر: تفسير الطبري (٢٨ / ٢٧)، تفسير السمرقندي (٣ / ٤٠٢)، تفسير ابن أبي زمنين (٤ / ٣٦٥)، في ظلال القرآن (٦ / ٣٥٢١).

٢ – سورة الحشر: ٢.

٣ – نظم الدرر (٧ / ٥١٣).

وجه لا يكاد يهتدى إليه الأفكار واتقوا مباشرة ما أداهم إليه من الكفر والمعاصي أو انتقلوا من حال الفريقين إلى حال أنفسهم فلا تعولوا على تعاضد الأسباب " [1].

وقال الطاهر بن عاشور: " ونودي أولو الأبصار بهذه الصلة ليشير إلى أن العبرة بحال بني النضير واضحة مكشوفة لكل ذي بَصر مما شاهد ذلك، ولكل ذي بصر يرى مواقع ديارهم بعدهم، فتكون له عبرة قدرة الله على إخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال. وفي انتصار الحق على الباطل وانتصار أهل اليقين على المذبذبين " [2].

ثم يستمر السياق في بيان سبب ما حل ببني النضير مما لم يتوقعوه وغيرهم، وذلك قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [3]، فقد بينت الآية الكريمة أن سبب إجلاء بني النضير هو مشاقتهم الله ورسوله، والمتأمل المشهد أيضاً يجد ختاماً عجيباً بسنة إلهية قائمة في الحضارات والمجتمعات، لا بد من مراعاتها والتوافق معها، وهي: أن مصير من يجانب أمر الله وأمر رسوله هو الخسران والهلاك.

" وقوله- تعالى- : شَاقُّوا من المشاقة بمعنى المعاداة والمخاصمة، حتى لكأن كل واحد من المتخاصمين في شق وهو كان يخالف شق صاحبه

١ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٨ / ٢٢٦)، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢ – تفسير التحرير والتنوير (٢٨ / ٧٢).

٣ – سورة الحشر: ٤.

ومكانه"[1].

" وقد جعل الله جانبه هو جانب رسوله حين وصف علة استحقاقهم للعذاب في صدر الآية ، فاكتفى في عجزها بمشاقة الله وحده فهي تشمل مشاقة الرسول وتتضمنها ،..... وهكذا تستقر في القلوب حقيقة مصائر المشاقين لله في كل أرض وفي كل وقت. من خلال مصير الذين كفروا من أهل الكتاب ، وما استحقوا به هذا العقاب" [2].

- ثانياً: مشهد المنافقين:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [3].

وهذا مشهد يستدعي جميع وسائل الإدراك البشري للاعتبار به والحذر من مقارفته. [4]

---

١ – التفسير الوسيط (١٤ / ٢٨٧).

٢ – في ظلال القرآن (٦ / ٣٥٢٢).

٣ – سورة الحشر: ١١ – ١٧.

٤ – ينظر: المدينة المنورة في عهد الرسالة من حديث القرآن والسنة، للشيخ محمد الراوي (ص ٢٩٧) بتصرف، ط: مكتبة العبيكان – السعودية، ١٤٢٧هـ.

يقول الإمام الطبري: " ألم تنظر بعين قلبك يا محمد فترى إلى الذين نافقوا "[1]

وهذا المشهد مرتبط بالمشهد السابق حيث كانت وعود المنافقين سبباً في تأخر استسلام بني النضير؛ أملا في عونهم؛ ولذلك: " أردف الله ذلك المشهد وما بعده بذكر ما حصل من مناصحة المنافقين عبد الله بن أبىّ ابن سلول ورفقته لأولئك اليهود ، وتشجيعهم لهم على الدفاع عن ديارهم ومحاربتهم رسول الله ﷺ بما قصه الله علينا وفصّله أتمّ تفصيل ، ليكون في ذلك عبرة لنا وإنا لنشاهد كل يوم أن الناس يضل بعضهم بعضا ويغوونهم ثم يتركونهم في حيرة من أمرهم لا يجدون لهم مخلصا مما وقعوا فيه " [2].

ولعل في الإبهام هنا (الذين نافقوا) دلالة على اختصاص الذكر بأخذ العبرة وإدراك الدرس.

والعبرة المستفادة من هذا المشهد هي ضرورة الوحدة للمجتمع المسلم ، وهوان شأن عدوهم ، مهما بلغت قوة المتآمر على المسلمين وشوكته ، فوحدة المسلمين تبقى سبباً لرهبة عدوهم وخشيته من قتالهم.

يقول صاحب الظلال: " والقرآن يقر هذه الحقيقة في قلوب المؤمنين ، ليهون فيها من شأن أعدائهم ويرفع منها هيبة هؤلاء الأعداء ورهبتهم. فهو إيحاء قائم على حقيقة وتعبئة روحية ترتكن إلى حق ثابت. ومتى أخذ المسلمون قرآنهم مأخذ الجد هان عليهم أمر عدوهم وعدو الله ، وتجمعت قلوبهم في الصف الواحد ، فلم تقف لهم قوة في الحياة.

والمؤمنون بالله ينبغي لهم أن يدركوا حقيقة حالهم وحال أعدائهم. فهذا

---

١ – تفسير الطبري (٢٨ / ٤٥).

٢ – تفسير المراغي (٢٨ / ٤٧) بتصرف.

نصف المعركة. والقرآن يطلعهم على هذه الحقيقة في سياق وصفه لحادث وقع ، وفي سياق التعقيب عليه ، وشرح ما وراءه من حقائق ودلائل ، شرحا يفيد منه الذين شهدوا ذلك الحادث بعينه ، ويتدبره كل من جاء بعدهم ، وأراد أن يعرف الحقيقة من العالم بالحقيقة! " [1]

١ – في ظلال القرآن (٦ / ٣٥٢٩).

المطلب الخامس

مجتمع التقوى ورعاية المستقبل

قد يظن بعد العلاقة بين التقوى والحضارة ؛ باعتبار أن إحداهما عبادة محضة والأخرى نشاط اجتماعي ، والحقيقة أن التلازم هو علاقة التقوى بالحضارة ، فلا تنفك إحداهما عن الأخرى ، فلا حضارة بدون تقوى ، ولا تقوى إلا تقود إلى قيام الحضارة.

وقد رسمت سورة الحشر في إطار معنوي تطبيقي بديع جمع بين تحقيق التقوى وما يترتب عليه من حسن المستقبل ، وذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [1].

فقد وجهت الآية نداء إلى عموم المؤمنين أمرتهم فيه بتقوى الله ، وبتقديم العمل الصالح الذي ينفعهم يوم يلقونه ، ونهاهم عن التشبه بالقوم الفاسقين.. ، والتقوى تعني الوقاية ، أي: صونوا أنفسكم عن كل ما يغضب الله- تعالى- ، وراقبوه في السر والعلن. وقفوا عند حدوده فلا تتجاوزوها ، وذكرت لفظ: نفس لتفيد العموم ، وكرر- سبحانه - الأمر بالتقوى فقال: واتَّقُوا اللَّهَ للتأكيد. أي: اتقوا الله بأن تؤدوا ما كلفكم به من واجبات ، وبأن تجتنبوا ما نهاكم عنه من سيئات [2].

والتعبير بلفظ: التقوى في الآية " تعبير ذو ظلال وإيحاءات أوسع من ألفاظه.. ومجرد خطوره على القلب يفتح أمامه صفحة أعماله بل صفحة حياته ، ويمد ببصره في سطورها كلها يتأملها وينظر رصيد حسابه بمفرداته وتفصيلاته. لينظر ماذا قدم لغده في هذه الصفحة.. وهذا التأمل كفيل بأن يوقظه إلى

---

١ – سورة الحشر: ١٨.

٢ – التفسير الوسيط (١٤ / ٣٠٧، ٣٠٨) بتصرف.

مواضع ضعف ومواضع نقص ومواضع تقصير ، مهما يكن قد أسلف من خير وبذل من جهد. فكيف إذا كان رصيده من الخير قليلا ، ونصيبه من البر ضئيلا؟ " [1].

أما رعاية المستقبل والنظر فيه ؛ فهو مبني على ما سبق الآية من سياق السورة قبل الآية.

قال الطاهر بن عاشور: " ولما كان ما تضمنته السورة من تأييد الله إياهم وفَيض نعمه عليهم كان من منافع الدنيا ، أعقبه بتذكيرهم بالإعداد للآخرة بقوله: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي لتتأمل كل نفس فيما قدمته للآخرة [2].

ومَن تتبَّع آيات التقوى ودرس مفهومها في نصوص القرآن والحديث ، واطَّلع على سيرة الرَّسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - وهو إمام المتَّقين ، وعرف سير صحابتِه الكرام الَّذين شهد لهم القرآن بالتَّقوى ، وشهِد لهم التَّاريخ بإرْساء أُسُس الحضارة الإسلاميَّة النموذجيَّة - سيُدْرِك مدى فعالية التَّقوى وإيجابيَّتها في بناء حضارة إيمانيَّة قائمة على تَحقيق التَّوازُن المادِّي والرُّوحي للإنسان ، وهي الكفيلة بإنقاذ إنسان الحضارة المادِّيَّة المعاصرة من متاهات الضَّياع والصِّراع ، ومن الأزمات النفسيَّة التي يعيشها.

ولا يخفى أن ما أصاب الأمة الإسلامية في تاريخها من السقوط والنكوص الحضاري ، سببه الأساس هو الانحراف عن منهج المتقين ، منهج الرَّسول وصحابته الكرام ، في العلم والعمل ، وفي السِّياسة والاقتِصاد.

ولفضيلة التقوى وللقيم المتفرعة عنها دور كبير في تمتين العلاقات الاجتماعية ، وفي تماسك المجتمع وبناء الأمة القوية ، بدءًا بدورها في استِمْرار

---

١ – في ظلال القرآن (٦ / ٣٥٣١) بتصرف.

٢ – تفسير التحرير والتنوير (٢٨ / ١١٠).

العشرة الزوجية وتمتين العلاقة العائلية ، وقيامهما على المحبَّة وعلى العدْل والإحسان والتَّسامح وغيرها ، وانتِهاء ببناء العلاقات بين الأمم والشُّعوب على التعارُف والتَّعاون على البرِّ والتَّقوى ، وقد حثَّ الإسلام على قيم الأخوَّة والتوادّ والتراحُم والتعاون ، وعلى الإنفاق والإحسان للضعفاء وكلّها من أخلاق المتقين [1]

تكْمن أهمِّيَّة التَّقوى الحضاريَّة والكونيَّة في كوْنِها تحدِّد للأفراد والجماعات مقاييس السُّلوك الصَّائب والعلاقات السليمة في كافَّة ميادين الحياة ، ممَّا يجعل الإنسان منسجمًا مع قوانين الوجود في فِكْرِه ومشاعره وسلوكه ، ويَجعل المجتمع الَّذي تشيع فيه قِيَم التَّقوى مجتمعًا متوازنًا مع مسيرة التَّطوُّر في نشاطاتِه ومساراته ، وهذا يستلزم من الإنسان (المتَّقي) أن يقوم بجميع المسؤوليَّات على أحسن وجه ، ويتَّقي الاصطِدام بالقوانين الإلهيَّة والسنن الكونيَّة الَّتي توجِّه العلاقات بين الإنسان وخالقه ، وبيْنه وبين الكون ، وبيْنه وبين أخيه الإنسان ، فيتَّقي الانحراف عن علاقة العبوديَّة مع ربِّه تعالى ، ويتَّقي الانحراف عن علاقة التَّسخير مع الكون ، ويتَّقي الانْحِراف عن علاقة العدْل والإحسان مع أخيه الإنسان [2].

---

١ – التقوى والعمران الحضاري في القرآن: مقال منشور بموقع الألوكة.

٢ – ينظر: (فلسفة التربية الإسلامية) ماجد عرسان الكيلاني (ص ٣٤٩)، ط: مؤسَّسة الريان – بيروت، ط ١٦ – ١٩٩٨م، بتصرف.

المبحث الثالث

المعالم الحضارية غير المباشرة للمجتمع من خلال السورة

المطلب الأول

مجتمع تجاوز الأزمات

لكل مجتمع أزمات تواجهه وعقبات تعترض مسيرته ، وكم من مجتمعات انتهت حضارتها إبان اعتراض أزمة ما طريقها.

والمجتمعات المتحضرة دوما لها خططها المستقبلية لمواجهة الأزمات ، وأول هذه المجتمعات مجتمع النبوة ، فقد أعد خطة شاملة لمواجهة الأزمات والكوارث والنكبات ، وهي خطة فذة ؛ نظرا لما تعتمد عليه من ربانية ، ولما يميزها من شمول وتوازن.

والمتأمل آيات القرآن الكريم يقف على خطوات تلك الخطة الإسلامية ، وهي:

- أولاً: الثقة بنصر الله ووعده والحذر من اليأس والقنوط:

ففي فترات الأزمات ربما يتسلل إلى المجتمع أو إلى نفوس بعض أفراده شيء من الوهن واليأس ، ربما تختل في هذه النفوس الثقة بالله ؛ وهنا لا بد من علاج فوري يتمثل في تقوية الثقة بنصر الله وقوة المسلمين ، وقد عالجت سورة الحشر هذه الظاهرة من خلال تهوين شأن العدو وتقوية الثقة في نصر الله – تعالى- ، تأمل قول الله – تعالى - : ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾[1].

---

١ – سورة الحشر :١٣، ١٤.

" والمقصود من هذه الآية الكريمة ، تهوين أمر هؤلاء الأعداء في نفوس المؤمنين وبيان أن هؤلاء الأعداء قد بلغ الجبن والخور فيهم مبلغا كبيرا ، لدرجة أن خشيتهم لكم ، أشد من خشيتهم لله- تعالى- .

والتعبير بالرهبة للإشعار بأنها رهبة خفية لا يعلمها إلا الله- تعالى- وأن هؤلاء المنافقين واليهود ، مهما تظاهروا أمام المؤمنين بالبأس والقوة. فهم في قرارة نفوسهم يخافون المؤمنين خوفا شديدا..." [1].

- ثانياً: الصبر :

في فترة الأزمات إذا لاذ الناس بالهلع والجزع والخوف يبقى المسلم صادق اليقين يلوذ بالصبر فالصبر ، وحده هو الذي يشع للمسلم النور الذي يعصمه من التخبط ، والرجاء الذي يقيه من القنوط ، فالصبر فضيلة يحتاج إليها المسلم في دينه ودنياه ، ولا بد أن يبني عليها رجاءه.

ولم تتناول سورة الحشر الحديث عن الصبر مباشرة ، لكنها أشارت إلى عاقبة الكافرين ، سواء فيما يتعلق بسنن الله الثابتة ، أو بالجزاء الواقع بهم.

أما بالنسبة لسنن الله الثابتة فتأمل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ ﴾ [2]، فقد حددت هذه الآية مصير كل من اندرج تحت قاعدتها العامة ، وفي هذا إشارة إلى مضمون الصبر ، وهو تحقق الأمل ، مهما طال الأمد ، مع التسليم لقضاء الله وقدره.

---

١ – التفسير الوسيط (١٤/ ٣٠٤).

٢ – سورة الحشر:١٣، ١٤.

وأما بالنسبة لما ورد في السورة من الجزاء الواقع بأصناف المنحرفين ، فتأمل قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [1]، **فقد حصرت الآية مصيرهم في عاقبة واحدة ، وفيه أيضا إشارة إلى تحقق الوعد بالنصر وتجاوز الأزمات ، من خلال هلاك المعاند.**

يقول صاحب الظلال: " وما صبر المؤمنون وثبتوا إلا وشهدوا مظهر التماسك بين أهل الباطل يتفسخ وينهار ، وين كشف عن الخلاف الحاد والشقاق وال كيد والدس في القلوب الشتيتة المتفرقة! إنما ينال المنافقون والذين كفروا من أهل ال كتاب.. من المسلمين.. عند ما تتفرق قلوب المسلمين ، فلا يعودون يمثلون حقيقة المؤمنين التي عرضتها الآية في المقطع السابق في هذه السورة. فأما في غير هذه الحالة فالمنافقون أضعف وأعجز ، وهم والذين كفروا من أهل ال كتاب متفرقو الأهواء والمصالح والقلوب «بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ».. «تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى».." [2].

- ثالثاً: التوحد ونبذ الفرقة:

وقد صورت السورة هذه الحالة من التوحد التي ينبغي أن يـ كون عليها المسلمون ، من خلال ما ذكر في معرض الذم للمنافقين واليهود من أنهم جبناء لا يحاربون المسلمين إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر ، ،ان بأسهم بينهم شديد ، رغم ما يظهرونه من تماسك ، وإدراك المسلمين هذه الحقائق وفهمهم الطبيعة

---

١ – سورة الحشر:١٣، ١٤.

٢ – في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٢٩).

الواقعة لعدوهم مما يعينهم على بناء وحدتهم ونبذ فرقتهم.

يقول صاحب الظلال: " والقرآن يقر هذه الحقيقة في قلوب المؤمنين ، ليهون فيها من شأن أعدائهم ويرفع منها هيبة هؤلاء الأعداء ورهبتهم. فهو إيحاء قائم على حقيقة وتعبئة روحية ترتكن إلى حق ثابت. ومتى أخذ المسلمون قرآنهم مأخذ الجد هان عليهم أمر عدوهم وعدو الله ، وتجمعت قلوبهم في الصف الواحد ، فلم تقف لهم قوة في الحياة ، والمؤمنون بالله ينبغي لهم أن يدركوا حقيقة حالهم وحال أعدائهم. فهذا نصف المعركة" [1].

- **رابعاً: التعاون :**

ولقد صورت السورة الكريمة حالة من التعاون الفذ بين أفراد المجتمع في قوله – تعالى – : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [2].

وهكذا تتكامل هذه العامل لتحقيق معلم تجاوز الأزمات وتفاديها للمجتمع النبوي المبارك.

---

١ – المرجع السابق.

٢ – سورة الحشر: ٩، ١٠.

المطلب الثاني

مجتمع المعايير الثابتة

المعايير الثابتة لها أكثر من تعلق وارتباط ، فترتبط بمعايير التفاضل بين أفراد المجتمع أحيانا ، وتتعلق بالنظام السلوكي (الدستور) الضابط للمجتمع.

أما ما يتعلق بمعايير التفاضل في المجتمعات ، فإنها تتفاوت بناء على ثقافات أو أعراف مختلفة ، ورغم هذا التفاوت الواضح تدعي بعض المجتمعات الجاهلية الحديثة التفوق الحضاري.

والمتأمل صورة المجتمع المسلم الأول كما رسمت في سورة الحشر ، يقف على القمة الحضارية في وضع معايير ثابتة تحكم المجتمع بأكمله دون تفرقة أو تمييز.

تأمل الآيات المتعلقة بمصارف الفيء: ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1].

فقد اشتملت الآيات على قاعدتين أساسيتين: الأولى: من قواعد التنظيم الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع الإسلامي: «كَيْ لا يَ كُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْ كُمْ».. ، الثانية: قاعدة كبرى في التشريع الدستوري للمجتمع الإسلامي: «وَما

---

١ – سورة الحشر: ٦، ٧.

آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»..

ولو أن هاتين القاعدتين جاءتا بمناسبة هذا الفيء وتوزيعه ، إلا أنهما تتجاوزان هذا الحادث الواقع إلى آماد كثيرة في أسس النظام الاجتماعي الإسلامي [1].

وإن كانت القاعدتان السابقتان تمثلان من جانبٍ معنى المساواة ، فهما أيضا من جانب ثبات حـ كمهما وتساوي أفراد المجتمع في الخضوع لهما صورة لمعلم ثبات المعايير في المجتمع النبوي المبارك.

وثبات المعايير مبني على المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي المجتمعي ، وهما من معالم الإسلام ؛ كيف لا وقد رتب الحساب عليهما في الآخرة [2].

١ – في ظلال القرآن (٦/٣٥٢٤) بتصرف.

٢ – ينظر: الإسلام والعالم المعاصر – بحث تاريخي وحضاري– (ص ٢٠٨) بتصرف.

المطلب الثالث

مجتمع تكامل الأجيال

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [1].

يقصد بتكامل الأجيال في عنوان المطلب: تلك الحالة من التوافق بين مكونات المجتمع المتعاقبة جيلا بعد جيل سواء كانوا في فترة زمنية متقاربة أو متباعدة.

وهذه الحالة من التوافق بين الأجيال يندر وجودها في المجتمعات البشرية ، فالغالب في الدراسات الاجتماعية هو صراع الأجيال ، وإن خفت الوطأة كان الأمر نقداً بين الأجيال.

وقد تميز المجتمع النبوي من خلال صورة الحشر بحالة من التوافق بين أفراده ، ليست مجرد سمة فردية ، بل هي شرط من شروط التخلق الحضاري للفرد الراغب في الانضمام لذلك المجتمع.

وقد صورت الآية الكريمة هذا المعلم الحضاري للمجتمع في صورة دعاء من اللاحق للسابق بالمغفرة ورفع الغل والحقد ، ولا شك أن دعاءً مثل ذاك لن يصدر عن ساخط أو غاضب أو حتى منتقد.

ورغم كون الآية ضمن سياق " هذه الآيات التي تبين حكم الله في هذا الفيء وأمثاله ، فهي تحوي في الوقت ذاته وصفا لأحوال الجماعة المسلمة في حينها كما تقرر طبيعة الأمة المسلمة على توالي العصور ، وخصائصها المميزة التي تترابط بها وتتماسك على مدار الزمان ، لا ينفصل فيها جيل ، ولا قوم عن

---

١ – سورة الحشر: ١٠.

قوم ، ولا نفس عن نفس ، في الزمن المتطاول بين أجيالها المتعاقبة في جميع بقاع الأرض. وهي حقيقة ضخمة كبيرة ينبغي الوقوف أمامها طويلا في تدبر عميق.."[1].

يقول الطاهر بن عاشور: " وقد دلت الآية على أن حقاً على المسلمين أن يَذكروا سلفهم بخير ، وأن حقاً عليهم محبة المهاجرين والأنصار وتعظيمهم ، قال مالك: من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد ﷺ أو كان قلبه عليه غل فليس له حق في فيْء المسلمين ،ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾الآية [2].

١ – في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٢٣).

٢ – تفسير التحرير والتنوير(٢٨/٩٧).

المطلب الرابع

مجتمع التعددية الفكرية

ورد في سياق سورة الحشر حديث عن اليهود والمنافقين كمكون من مكونات المجتمع النبوي، وذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ (١) ،**وقوله تعالى:** ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾(٢).

والآيتان كما هو ظاهر تتحدثان بأسلوب الإبهام المستغرق لكل ما يحتمله اللفظ من عدد، مع إفادة العموم، وهذا بلا شك مظهر واضح للتعددية الفكرية والعقدية في مجتمع النبوة المبارك.

والتعددية رؤية إسلامية، فالإسلام مع التعددية في عوالم المخلوقات، لا يرى الواحدية والأحدية إلا في الذات الإلهية وحدها، وهو أيضاً –لا يطلق– للتعددية العنان بحيث تكون تشرذماً وقطيعة بين أجزاء الظواهر والموجودات، وإنما يراها تنوعاً واختلافاً وتميزاً في إطار الوحدة الجامعة للتنوع والتمايز والاختلاف، كما أن الإسلام لا يقبل المركزية الحضارية والدينية (٣).

---

١ – سورة الحشر: ٢.

٢ – سورة الحشر: ١١.

٣ – العطاء الحضاري للإسلام(ص ٨٠–٨١) بتصرف.

الخاتمة

- **أولا: أهم نتائج البحث:**

١- الحضارة في التصور القرآني أرقى وأنفع للبشرية من المفهوم الغربي ؛ لأنها بالمفهوم القرآني ذات ثوابت ومعايير واضحة.

٢- اشتمال كل سور القسم المدني من القرآن الكريم على جانب من الصورة الحضارية المباشرة وغير المباشرة للمجتمع النبوي.

٣- وضوح المنهج الحضاري للقرآن الكريم ، بصورة تستدعي سرعة التطبيق.

٤- تميز الواقع الحضاري للمجتمع الأول في المدينة المنورة باتصاله المباشر بالوحي نظراً وتطبيقا.

٥- المجتمع النبوي هو المثال الحي للمجتمع المتحضر ، والمقياس الوحيد لتقييم المجتمعات وتقويمها.

٦- انفراد المجتمع النبوي بطائفة كريمة من المظاهر الباهرة للصورة الحضارية الباهرة المباشرة وغير المباشرة.

- ثانيا : توصيات الباحث :

١- توجيه نظر الباحثين نحو دراسة الحضارة من منظورها الإسلامي المستمد من الـ كتاب والسنة.

٢- إنشاء كرسي علمي يختص بالدراسات الحضارية من خلال القرآن الـ كريم والسنة النبوية المطهرة ، يهدف إلى نشر البحوث العلمية في هذا المجال وترجمتها إلى اللغات المتنوعة ؛ بغرض توضيح الصورة الحضارية للإسلام ومجتمعه المثال.

٣- الاتجاه بدراسة السيرة النبوية (خاصة الاجتماعية منها) نحو جانب التطبيق على المجتمعات ، من خلال إحياء مجتمع القيم النبوية ونحوه .

٤- العمل على نشر المظاهر الحضارية للمجتمع النبوي من خلال كتيبات مطبوعة بإشراف القائمين على الدعوة في الأزهر الشريف جامعاً وجامعة.

٥- تنشيط وإنشاء مؤسسات للتنسيق الحضاري الإسلامي ضمن منظومة العمل الإسلامي بالأزهر الشريف.

ثبـــت المراجـــع والمصـــادر

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ط مؤسسة الرسالة – ناشرون –دمشق، بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ –٢٠٠٨م، و ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف– المدينة المنورة،١٤٢٦هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، ط: دار الفكر – ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
- الأساس في التفسير للشيخ سعيد حوى، ط: دار السلام – القاهرة، د.ت.
- أسباب نزول القرآن الكريم لأبي الحسن الواحدي، ط دار الكتب العلمية – بيروت، بتحقيق: كمال بسيوني زغلول، الطبعة الأولى ١٤١١هـ –١٩٩١م.
- الإسلام والحضارة الإنسانية، أ.د/ محمد عبد المنعم خفاجي –رحمه الله–، ط دار الكتاب اللبناني – بيروت، لبنان –١٩٨٢م .
- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام لمحمد الطاهر ابن عاشور، ط: الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ط: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ.
- الأعلام للزركلي، ط: دار العلم للملايين– لبنان، الطبعة: الخامسة عشرة – أيار – مايو ٢٠٠٢ م.
- الأفعال ، لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي، ط دارعالم الكتب – بيروت – ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، الطبعة: الأولى.
- اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم ودلالاته الحضارية " للدكتور عبد الرحمن حللي، منشور بمجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية

والقانونية،مجلد٢٧، العدد الثالث عشر، سنة ٢٠١١م.

- **البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، ط دار الفكر – بيروت سنة ١٤٢٠ هـ.**
- **البرهان في ترتيب سور القرآن لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.**
- **البرهان في علوم القرآن للزركشي ، ط دار الفكر – بيروت، سنة ١٤٢٥-١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م،وط: مكتبة دار التراث – القاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ت.**
- **تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ط: دار الهداية، طبعة محققة.**
- **التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، ط: دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥، الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري.**
- **تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.**
- **تفسير ابن كثير، ط: دار الفكر – بيروت،١٤٠١هـ.**
- **تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، ط: دار الكتب العلمية –بيروت، الأولى-١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.**
- **تفسير البغوي، ط: دار المعرفة، بتحقيق خالد العك.**
- **تفسير البيضاوي، ط: دار الفكر – بيروت، د.ت.**
- **تفسير التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م.**
- **تفسير التحرير والتنوير، ط الدار التونسية للنشر – تونس، سنة ١٩٨٤ هـ.**
- **التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة،ط: دار إحياء التراث العربي بالقاهرة، ١٣٨٣هـ.**

- **تفسير السمعاني، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، ط: دار الوطن، الرياض، السعودية، الأولى: ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.**
- **تفسير القرآن للعز بن عبد السلام، ط دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.**
- **التفسير الكبير، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي،ط دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، الأولى.**
- **تفسير المراغي، للشيخ أحمد بن مصطفى المراغي، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.**
- **تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.**
- **التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلى، ط دار الفكر المعاصر– بيروت، دمشق، سنة ١٤١٨هـ.**
- **التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي، ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الأولى ١٩٩٧–١٩٩٨م.**
- **تفسير بحر العلوم للسمرقندي، ط: دار الفكر – بيروت.**
- **التقوى والعمران الحضاري في القرآن، محمد البوزي، مقالة منشورة بموقع الألوكة: http://www.alukah.net.**
- **تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت ٢٠٠١م، الطبعة الأولى ، تحقيق: محمد عوض مرعب.**
- **الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، د/ حسين مؤنس، منشورات سلسلة عالم المعرفة – ١٩٧٨ م.**
- **الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، د/ توفيق يوسف الواعي ، ط: دار الوفاء – المنصورة، مصر –١٤٠٨هـ.**
- **دستور الأخلاق في القرآن، أ.د/ محمد عبد الله دراز، ط مؤسسة الرسالة – دار البحوث العلمية، د.ت، تعريب وتحقيق وتعليق أ.د/ عبد الصبر شاهين.**

- روح المعاني، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت – د.ت.
- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج ابن الجوزي، ط دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- زاد المسير للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط: المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٤هـ، الثالثة.
- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة المكي، ط: مركز البحوث والدراسات – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ –٢٠٠٦م.
- سنن أبي داود السجستاني،ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بتحقيق الشيخ أحمد شاكر.
- السيرة النبوية دروس وعبر، د/ مصطفى السباعي، ط: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.
- صحيح البخاري، ط: دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، الثالثة.
- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، طبعة دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الثانية ١٤١٣هـ، بتحقيق د.محمود الطناحي، ود.عبد الفتاح الحلو.
- طبقات المفسرين للسيوطي، ط مكتبة وهبة – القاهرة – ١٣٩٦، الأولى، تحقيق: علي محمد عمر.
- عطاء الإسلام الحضاري، أ/ أنور الجندي، ط:رابطة العالم الإسلامي–جدة، رجب ١٤١٦هـ، العدد ١٦٣، السنة الرابعة عشرة.
- العطاء الحضاري للإسلام، د/ محمد عمارة، ط: مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة، الأولى، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م.
- الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط: دار المعرفة – بيروت، بتقديم فضيلة الإمام الشيخ حسنين محمد مخلوف.
- فلسفة التربية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، ط: مؤسَّسة الريان –بيروت،

ط ١٦ – ١٩٩٨م، بتصرف.
- في الفقه الحضاري (حول منهج جديد لدراسة حضارة الإسلام)، أ.د/ عماد الدين خليل بتصرف، بحث منشور بموقع مكتبة المهتدين، بالشبكة الدولية للمعلومات.
- في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب إبراهيم، ط: دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ.
- القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز لأبي عيد رضوان بن محمد بن سليمان، تحقيق العلامة عبدالرازق علي موسى،الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .
- كيف نتعامل مع القرآن الكريم ؟ للشيخ محمد الغزالي، ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي، د.ت.
- لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين السيوطي، ط مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، بتحقيق: كمال بسيوني زغلول، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ –٢٠٠٢م .
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى بدون تاريخ.
- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ، ط: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – ١٤٠٦ – ١٩٨٦، الثالثة، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند –.
- المجتمع الإسلامي –أسس تكوينه وأسباب ضعفه ووسائل نهضته– أ.د/ أحمد شلبي، ط: مكتبة النهضة العصرية المصرية – القاهرة، الثانية –١٩٩٠م.
- المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، للإمام محمد أبي زهرة، ط: الدار السعودية للنشر والتوزيع، الثانية ١٤٠١هـ–١٩٨١م.
- المجتمع المدني في عهد النبوة– خصائصه وتنظيماته الأولى –، أ.د/ أكرم ضياء العمري، ط: المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
- المجتمع والأسرة في الإسلام، لمحمد طاهر الجوابي، ط: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الثالثة ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.
- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ط مكتبة لبنان بيروت

١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م، تحقيق: محمود خاطر.

- **المدينة المنورة في عهد الرسالة من حديث القرآن والسنة، للشيخ محمد الراوي، ط: مكتبة العبيكان – السعودية، ١٤٢٧هـ.**
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني،ط: مؤسسة قرطبة – مصر.**
- **معالم المنهج الحضاري في الإسلام،د/ عبد المجيد النجار، بحث منشور في مجلة رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية (ثقافتنا)، مؤسسة الفكر الإسلامي – طهران، العدد الخامس والعشرون، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.**
- **المعجم الوسيط، من إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ط: دار الدعوة بالقاهرة، تحقيق: لجنة من المجمع.**
- **معجم مقاليد العلوم، لأبي الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، ط: مكتبة الآداب – القاهرة، مصر – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أ.د محمد إبراهيم عبادة.**
- **معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ط: دار الجيل – بيروت – لبنان – ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م، الطبعة الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.**
- **مفاهيم يجب أن تصحح لمحمد قطب، ط: دار الشروق بالقاهرة،الأولى، ١٤٠٨هـ .**
- **المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ط: المكتبة التوفيقية – القاهرة، د.ت.**
- **مقال: القيم الإسلامية وحاجة الواقع المعاصر –أ.د /خالد الصمدي – مجلة حراء –العدد ١٣ أكتوبر – ديسمبر ٢٠٠٨م.**
- **مقال: " التدين والتحضر، نحو تواصل إيجابي " د/ عبد الرزاق وورقية، مجلة حراء، العدد ١٢، السنة الثالثة، (يوليو–سبتمبر) ٢٠٠٨م.**
- **المقتضيات المنهجية لتطبيق الشريعة في الواقع الإسلامي الراهن، د/ عبد المجيد النجار، ط: دار المستقبل، ضمن منشورات مركز دراسات المستقبل**

الإسلامي عدد ٢.
- مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، د / مصطفى السباعي، ط دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم، عمار توفيق أحمد بدوي.
- مناهل العرفان، ط: دار الكتاب العربي، تحقيق فواز زمرلي، د.ت.
- منتديات موقع قصة الإسلام: http://forum.islamstory.com .
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، د.ت.
- ميلاد مجتمع لمالك بن نبي، ط: دار الفكر دمشق، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ترجمة: أ.د/ عبد الصبور شاهين.
- نظرات في القرآن، للشيخ محمد الغزالي، ط: دار نهضة مصر – القاهرة، السادسة:٢٠٠٥م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م،وط: دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، د.ت.
- وفيات الأعيان لابن خلكان، ط: دار الثقافة – لبنان، بتحقيق إحسان عباس، بدون تاريخ.

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمة	٣٤٩
التمهيد: مفاهيم ومبادئ	٣٥٦
المبحث الأول: تعريف موجز بسورة الحشر	٣٦٦

المطلب الأول: اسم السورة، وزمان نزولها وعدد آيها ٣٦٦
المطلب الثاني: المناسبات في السورة ٣٧٠
المطلب الثالث: سبب النزول وفضائل السورة ٣٧٢
المطلب الرابع: موضوعات السورة ومحورها إجمالاً..... ..... ٣٧٥
المبحث الثاني: المعالم الحضارية المباشرة للمجتمع من خلال السورة ٣٧٧
المطلب الأول: مجتمع الإيمان والعبادة ٣٧٩
المطلب الثاني: مجتمع العدل الرباني ٣٨٨
المطلب الثالث: مجتمع التسامح والإيثار ٣٩١
المطلب الرابع: مجتمع أخذ العبرة من السابقين ٣٩٤
المطلب الخامس: مجتمع التقوى ورعاية المستقبل ٤٠٠
المبحث الثالث: المعالم الحضارية غير المباشرة للمجتمع من خلال
السورة ٤٠٣
المطلب الأول: مجتمع تجاوز الأزمات ٤٠٣
المطلب الثاني: مجتمع المعايير الثابتة ٤٠٧
المطلب الثالث: مجتمع تكامل الأجيال ٤٠٩
المطلب الرابع: مجتمع التعددية الفكرية ٤١١
الخاتمة..... .... ٤١٢

الموضـــــــوع الصفحة

توصيات البحث ٤١٣
ثبت المراجع والمصادر..... .... ٤١٤
فهرس الموضوعات ٤٢١

والحمد لله أولاً وآخرا

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين